حكاية في كلمات

●

قبل في مخاض السراب ماء . . . وظلت كذبة في الدهر لم تصدّق الا عندنا .

تلك هي الحكاية ، حكاية المجتمع العربي المخدوع ، او القافلة المتطوّحة بتفجع هنا وهناك على الظمأ .

ولما ينقطع بعد بالقافلة المسير ، ولما تزل تخب على التيه وراء نداء ماكر ، هو نداء أغربة تجد جنتها على الاشلاء .

واثقلت اليوم بهم حقبتنا – ونحن كالامس بالأكذوبة – حتي اشتملت من ضروب المآسي ما جعلها فريدة في كل شيء : في طابعها ، في أحداثها وحوادثها ، في ألوان من عقلية الأولياء وشهوات الأولياء ؛ على مثلها من امراضهم في هذه وهذه .

ومرض الشهوة كمرض العقل كلاهما الجنون ، ولكنه في العقل جنون يمسح الادراك ، اما هو في الشهوة فادراك يحركه الجنون .

ويظل هذا من سوء أثره ، أكبر الجنونين خطراً ، لانه إدراك مخرّب ، يسير بشهوة ويقف بشهوة ويجد صاحبه في الناس سبيل حيلته وسبيل حياته . . ثم يكون بينهم النبعة التي تجري بالاثم ؛ فيدنس أقدامهم في الحرية في الحق في الاخلاق ، وهم من أفانينه يباركون .

على ان عاصمك من جنون العقل ، أنك تحجر عليه . . اما جنون الشهوة ، فأروني اي شيء هو ذاك الذي يأخذ عليه الطريق ؟ . . قبلما تدور بالمجتمع .

من اقطاره اصابع شهوة مجنونة ، ثم لا تنأى عنه الاوقد أحالته شيئاً مثل نهر الموتى الهندي ، ليس يعي من أمسه لغده ، الا حكاية حفنة الرماد ، التي أبقاها لسان اللهب ، وغصت بها لهاة المحرقة . .

هي مقاطع سجلتها كما خطرت وجاءت ، وكما اضطرب بها الحس دون محاولة ملاءمتها . . فان اية محاولة من هذا القبيل تعني أنها تصنع ، وفي التصنع مع البغض كما هو مع الحب ، قصد مركز ووعي ماكر ، لا ترى معه صادقاً ولا تحس كذلك .

وشد ما انا اكره هذا التصنع حيال ما هو اقدس من رغباتي ورغباتك واخلد من وجودي ووجودك ، حيال قضية امة يفتت كيانها متآمرون ، وقضية وطن يعبث بغده ومصيره جناة آثمون .

بحسبي انها مقاطع طويتها على زفرات اتسقت – كما ترى – قطعة من حس ، وحفنة من حبات قلب ، وانسكابة من حشاشة تتفطر بمواقع الاثم ، ورشحاً من حوصلة دماء : في بعض ذراتها تاريخ شعب أعطي الطهر يوم اعطى بعض خصاله فيأبى ان يدنس ، وفي بعض ذراتها وطن كحل بالنور الاعين الرمد فيأبى ان يكون الأرمد .

ونحن لذلك – صوناً لتراث الماضي وضناً بامانة الغد – سوف لن تجد فيما نخط بعد اليوم تورعاً جباناً ، ولا مداراة هلوعاً ، ولا لهجة مقنعة مذعورة ، ولا مصانعة تمسح جبين الرجس بالعطور . فالمصانعة مع الخداع اعطاء الاذن للخداع على ان يستفحل ، وإعلانه بانه قوة .

لقد خدع هؤلاء القبضة من السراب «الأولياء» انهم ظفروا بشوط بعد شوط في أخذ المجتمع ، فظنوها الغلبة . . ولكن المجتمع اكبر من ان يصرع ، الا في خيال الرعونة المعتوهة .

عبد الله العلايلي

جيته والشيطانة العاشقة

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

☆

لعوب وفي تلعابها فتنة، طموح الى المجد، وفي طموحها مكر عريض، لذا دارت مع الفن، فكانت في دورانها كرّارة فرارة، وانتشرت في نسمة الحياة، فانبعثت منها شرارة الحياة تتقد بنار الفراهات الشيطانية. في احساسها ارهاف جامح، لكنه لم يبلغ حدّ المرض، وفي نفسها قلق وعذاب، بيد أنهما لم يتشرفا الى جناب اليأس، فقد عصمها المكر الطامح من ان تسمى الى الانتهاء الرومنتيكي الذي اندفعت اليه صديقتها كارولين فون جيندروده Karolin von Gunderode التي انتحرت انتحاراً رومنتيكياً مميزاً، بأن طعنت صدرها بخنجر، يأساً من غرامها، وفعلت هذا في فنكل، ضيعة آل برنتانو، الذين منهم صاحبتنا بتنا برنتانو Bettina Brentano، امام نهر الرين الخالد، مما هز كيان صديقتها بتنا الى اعمق أعماقه، فاندفعت تروي قصة هذا الانتحار الرهيب المليء بالنبل والروعة، وفي روايتها إياها تلمس نبرة حارّة كأن صاحبتها تهتف: ليتني كنت الشهيدة! أجل، ان هذا الجيل الذي تنتسب اليه كلتاهما، الجيل الرومنتيكي الحالم اليائس المعذّب الشقي الضمير، في سريرة كل من افراده سر انتحار كان يودّ ان يذيعه بالتفاتة نبيلة، لولا أعوز جلهم الشجاعة الصادقة مع نفسها. ولا عجب، فهو الجيل الذي تغذى بآلام الفتى «فرتر» في الربع الاخير من القرن الثامن عشر، والاول من القرن الذى تلاه.

هذا الجيل الذي ولد مرتبطاً نجمه ببرج جيته، وبخاصة منه صاحبتنا بتنا: فكل ما حولها ومن حولها يعبق بذكرى جيته او يستروح انفاسه الملتهبة. فجدتها صوفي لاروش Sophie La Roche كانت كاتبة على حظ غير قليل من الفن، عرفها جيته، الفتى المضطرب العرم الحماسة، وقضى اياماً بين اسرتها، لاروش، في ايرنبريتشتين Ehrenbreitstein سنة ١٧٧٢ وهو في الثالثة والعشرين. عرفها، وقد يكون احبها برغم تقدم سنها، لكنه فضّل عليها بكرها مكسمليانه Maximiliane التي تعلقها حتى العبادة مدفوعاً بأوهام الشباب الزاهية، فأخذ من نفسه ميثاقاً غليظاً على ان يخلص في حبها ابداً، ولا يستبدل بها احداً. لكن متى كان للشباب يمين! وهي الاخرى، مخضوبة البنان، متى كان لها يمين! لم تكد تمضي سنتان على هذا الحب «الابدي» حتى تزوجت، وبمن؟ بتاجر من فرنكفورت يكبرها بعشرين سنة، ماتت عنه زوجه الاولى وخلفت له من ورائها عدداً كبيراً من الابناء!! فرحى! مرحى! يا لاخلاص المرأة!

ومع هذا فليس لنا ان نلعن فعلتها هذه، والا لما كانت صاحبتنا التي نتحدث عنها! فلهذا الزواج «الرجيم» ندين بميلاد بتنا برنتانو في الرابع من نيسان (ابريل) سنة ١٧٨٥، لأبوين احدهما، وهو الاب، من اصل ايطالي كاثوليكي، والآخر وهو الام من اصل الماني بروتستنتي، فاصطلحت عليها روحان متضادتان: المانية غامضة مغرقة في الصوفية العميقة والتجريد المغالي، وايطالية مشرقة فيها حرارة وسذاجة ووضوح، ومنهما تألف هذا المركّب الشيطاني الفذّ الذي يدعى روح بتنا برنتانو. وسرها من بين اخوتها، أشقاء وغير اشقاء، في انها احتفظت لهذا المركب بكل توتره، اما اخوها كليانس، مثلاً، وهو الشاعر الرومنتيكي الغنائي ذو النبرات الناضرة والالتفاتات الشعرية المتسمة بالبراعة البسيطة، فقد انتهى الى الاذعان بعد اربعين ربيعاً من الاضطراب والتوتر، فغلب عليه الجانب الايطالي الكاثوليكي، واستسلم لتدين رخي، حتى انه أمضى خمس سنوات الى جوار وسادة راهبة غريبة الرؤى، عامرة بالتهاويل المنبثقة من خيال انكهته مفازع الرهبة دون الرغبة، ونعني بها كاترين أمّرش Kathrine Emmerich ذات العلامات

الدموية stigmates (توفيت سنة ١٨٢٤)، والتي خلدها ويسمانس J. K. Huysmans في كتابه «في الطريق» En Route ص(١٦٩ – ص ١٧٣، باريس سنة ١٩٤٢ ط ٦٨). اقام كليمانس برنتانو الى جوارها وسجل احاديثها ونبوءاتها العجيبة، فأخلد هذا الشارد الرومنتيكي الحاد الشهوة الى تلك السكينة التي القى ظلها جناب القدس. والغريب ان اخته بتنا قد نُشّئت في دير، هو دير فرتسلار Fritzlar، وبقيت فيه حتى سنة ١٧٩٧ لما ان توفي ابوها، ومع هذا فلم ترتد الى الايمان صنيع اخيها الذي لم ينشأ تنشئة دينية. انما هو الطبع الاصيل يفعل فعله رغماً عن كل تربية او بيئة. لكن على الرغم من التباين في طبعيهما، فقد ظلا على اوثق صلة، وقامت بينهما مراسلات متصلة من سنة ١٨٠٠، نشرتها هي بعد وفاة اخيها لعهد طويل سنة ١٨٤٤ بعنوان «تاج الربيع على مفرق كليمانس برنتانو».

قلنا انها مركب شيطاني فذ. وآية ذلك انها كانت دائبة الحركة والتواثب، مشيتها تراقص، وجلوسها على الارض، لا تستقر في مكانها، بل تتسلق اثاث المنزل، اذا فرحت ملأت الدار صراخاً وان حزنت فالدنيا نحيب مستمر، كل هذا وهي في سن متقدمة جاوزت الخامسة والعشرين. لقد بقيت طفلة في حركاتها وسكناتها، تميل الى الشاذ الغريب كأنها جنية او (اندين) ترف متواثبة كالحبب الصاخب على سطح بحر متلاطم: فكل ما تطؤه قدماها هو تبيج موجة.

ثم شدت اطرافاً من الثقافة الحية في الوسط الممتاز الذي حيت به في فرنكفورت منذ سنة ١٧٩٧ بين اخواتها وجدتها الاديبة التي حرصت على توفير تربية جيدة لحفيدتها الملتهبة. فكان تبادل في الافكار بين النفوس العديدة الخصبة التي عج بها ذلك البيت انتجت في نفس بتنا خير الثمار. ولقد انتجت اسرة برنتانو افراداً صاروا اعلاماً في الفكر الالماني على تعدد مناحيه: في الفلسفة فرنتس برنتانو Franz Brentano، وفي التاريخ هرمن جرم Grimm، وفي الاقتصاد لويو برنتانو Lujo، وفي الفن القصصي اليصابت هيكنج Elisabeth Heyking وايرين فوربس موسه Irene Forbes-Mosse، وفي الموسيقى ماكس شلنجس Max von Schillings وفي السياسة عديدون.

لهذا تنبهت كوامن الفن فيها، وراحت تشارك في الثقافة ممثلة في اعلامها. وكان علم الثقافة الاكبر في ذلك الحين جيته، وقد تبوأ مركز الصدارة نهائياً في الادب الالماني كله. بل وفي الادب العالمي في ذلك الحين. وما كان رجال الادب الالماني في ذلك الحين الا كواكب تدور في فلك هذا النجم العظيم. وروحها المتلهفة تدفعها الى طلب الشهرة في مضمار الادب بأسرع طريق. فاي طريق أيسر وأسرع من طريق جيته؟ خصوصاً بالنسبة اليها. لا شك ان اسمه كان يتردد في بيتها منذ نعومة اظفارها بحكم تلك الصلات التي تحدثنا عنها. وان كانت الصلة الغرامية بين جيته وبين امها قد اوشكت ان تنقطع تماماً لما ان ولدت بتنا لكن هذا مع ذلك لم يكن كافياً.

انما كان العامل المباشر في اتجاهها الى التعلق بجيته ومحاولة التعرف اليه ان وقع نظرها ذات يوم من أيام مستهل حزيران سنة ١٨٠٦ وهي في أوفنباخ، على الرسائل التي كتبها جيته الى جدتها صوفي لاروش بين سنة ١٧٧٢ وسنة ١٧٧٥، وفيها حظ موفور لتعبير جيته عن حبه المتأجج لمكسمليانه، ام بتنا. فأثارت هذه الصلة الغرامية بين الشاعر الأكبر وبين والدتها الفقيدة النزعة القوية فيها الى ان ترث تلك المكانة التي كانت لأمها في قلب الفتى الحالم. لكن كيف السبيل الى هذا القلب العالي؟ لئن بلغته أمها من قبلُ، فقد كان ذلك وهو فتى لم يبلغ شأواً يذكر. اما الآن، وقد تربع زيوس هذا على عرشه في قمة الاولمب، فمن لها بمن يقتادها اليه؟

كانت والدة جيته لا تزال حية في فرنكفورت تروي للناس ما تذكره من طفولة ابنها العظيم، في افتخار ساذج وطيبة نفس طاهرة. فسعت بتنا اليها مدفوعة اولاً بالرغبة في استطلاع أمر الصلة بين امها والفتى اليانع، وثانياً حتى تتقرب بهذه الصلة الى جيته نفسه، لعل والدته ان تكون شافعة لديه في امر بتنا. وتوثقت الرابطة فعلاً بين الفتاة وبين «حرم المستشار» كما كانت تسمى والدة جيته، وراحت الام المعجبة تطارح بتنا حديث شباب جيته وطفولته، وبتنا تسجل ما تسمع، مما سيكون له فضل توثيق العلاقة بين جيته وهذه الفتاة. وبهذا تحقق لها غرضها الاول، اما الثاني فقد تحقق بفضل فيلند Wieland، شيخ الشعراء في ذلك العهد وعاشق جدتها صوفي لاروش. ففي ربيع سنة ١٨٠٧ مرت بفيمار وهي بصحبة زوج اختها يورديس Jordis، والتمست من فيلند أن يكتب لها كلمة تقديم الى جيته. وما كان جيته في حاجة الى هذه التوصية، أليست هي ابنة عشيقته العزيزة التي احرق لها بخور شبابه الاول بكل سخاء؟! ان ذكرى غرامها لا تزال حية أعنف الحياة في نفس جيته، فما أطيب الى نفسه ان يحيا من جديد، بمناسبة هذه الفتاة، تلك الذكريات الاثيرة لديه!.

فكان لقاء بذلت فيه الفتاة ذات الثانية والعشرين كل ما فيها من دل ودهاء. اما هو فقد كان يدلف الى الستين. فنظر

اليها نظرة والد فيها عطف وحنان يمازجه من غير شك ذكرى الحب العتيق . اقعدها على ساقيه وراح يتأمل قسمات وجهها حتى يستشف من ورائها لمحات والدتها ، ليحيا لحظة في حلم الماضي العزيز . تأمل واطال التأمل ، وابتسمت الفتاة اللعوب بأغراء وافتتان ، ثم علاها سهوم واستسلام . وسرت في عيونها شائعة الوسن الماكر، وارتمت برأسها على كتف الشيخ ، وراحت تحلم في اخلاد عذب شهواني . ولا تسلني بعد هذا عمن نبهها من هذا التناوم المكشوف ! .

ماذا كان اثر هذا اللقاء في كليهما ؟ اما هو فقد اكتفى بأن سجله في « يومياته » بهذه العبارة وحدها : « الآنسة برنتانو » . اما هي فراحت تصور لنفسها الواناً من الاوهام : قالت : « غدوت اليه مزودة بتلك البطاقة ، البيت قبالة النافورة ، صعدت الدرج الصغير ، وكان في الجدار تماثيل من الجبس تدعو الى السجو الرقيق . فخيل الي انه لن يكون في وسعي ان اجاهر بصوتي من فوق هذا السلم المقدس . كل ما في المكان حبيب ، ومع هذا يتسم بالمهابة والاحتفال . وفي الغرفات تسود البساطة الكاملة . آه ! ما اشد اغراءها ! « لا تهابي ! » ، هكذا كانت تحدثني الجدران المتواضعة ؛ « هو قادم ، وسيكون هنا ، وفي مستواك . هنالك فتح الباب ، وتبدى بمهابة وجلالة ، ورنا الي بنظرته الصامتة الساكنة ، فمددت يدي اليه ، فيما خيل الي . ثم لم أدر بعد ماذا اصنع . فعانقني جيته وضمني الى قلبه وقال : « ايتها الطفلة المسكينة ، اقلقد اخفتك ! » تلك كانت الكلمات الاولى التي نفذ بها صوته في فؤادي ، واقتادني الى مخدعه ، وأجلسني على الاريكة قبالته . وبقينا كلانا صامتين ، واخيراً قطع هو هذا الصمت . « لقد قرأت من غير شك في الصحف اننا اصبنا منذ ايام بوفاة الدوقة أميلي » — فأجبت : « اني لا اقرأ الصحف ويا للاسف » — « آه ! كنت اعتقد ان كل ما يجري في فيمار يهمك » — « كلا ، لا شيء يهمني غيرك انت ، وليس عندي من الصبر ما يشجعني على قراءة الصحف » . — « يا لك من طفلة فاتنة ! » وقفة طويلة . وكنت مسمرة بالاريكة الرهيبة . وكلي قلق . وانك لتعلم انه من المستحيل علي ان اظل جالسة على هذا النحو كما يفعل المهذبون . آه ! اواه ، أفي وسع المرء ان يجاوز طور نفسه ؟ فقلت له في التو : « لا استطيع البقاء جالسة هنا على هذه الاريكة » . ونهضت واثبة . فقال « اذن فافعلي ما يحلو لك » . هنالك وثبت الى عنقه ، فأقعدني على ساقيه وضمني الى قلبه . وكان سكون عميق طويل ، واختفى كل شيء . ولم اكن قد تذوقت طعم النوم منذ زمن طويل ، ومضت سنوات طوال كان فيها هدف شوقي ومقصد حنيني ، فأغفيت على صدره ، ولما استيقظت بدأت عندي حياة جديدة » .

هذا وصفها للقاء . وقد يكون صادقاً في جملته دون تفاصيله ، اذ لا بد ان تخلي هامشاً عريضاً لآثار الخيلاء وبراعة الفن . وقد تكون صادقة في قولها ان حياة جديدة بدأت تدب في نفسها من تلك اللحظة ، وفي تعبيرها عن احساساتها التي عانتها في تلك اللحظة . ولكن لا شك ايضاً في ان جيته لم يأخذ الامر كله مأخذ الجد ، بل نظر اليها طفلة ، نظرة فيها حنان رقيق ، وان كان قلبه عامراً لا يزال قوياً ابداً على ان يعشق مهما تبلغ ، السن ، حياً دائماً في حساسته المتقدة . انما الفتاة نفسها لم تكن مما يأسر القلب ، فليس في جمالها شيء خارق يمكن ان يثير جيته إثارة خاصة . ولئن صح ما يقال من ان الشيخوخة تهوى الشباب الغض في الحب ، فان قلب جيته ظل شاباً أبداً ، لم يتطرق اليه الهرم ، لهذا كان يفضل السن الناضجة التي تتفتح فيها الانوثة الخالدة عن زهرتها المليئة ثم ثمرتها الشهية .

وأنبأت بتنا والدة جيته بهذا اللقاء . فردت عليها بدعوتها اياها ان تلقبها باسم « ام » . ومن هنا بدأت تبعث بالرسائل الى جيته منذ صيف سنة ١٨٠٧ : كتبت له ثلاث مرات فلم تظفر منه بجواب . ثم التقيا مرة ثانية برفقة اختها ملينا وزوجها سافيني ، المشرع الالماني المشهور ، في تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه وفي هذا اللقاء الثاني توثقت الآصرة بين جيته والفتاة حتى تبادلا القبلات ، الحارة من جهتها على الاقل . فاتقد غرام الفتاة الى ابعد حد ، اما هو فقد ظل محافظاً في صلته بها ، لا يندفع ولا يبدي الا اقل ما يمكن من مراعاة وعطف . وراحت تعبر عن هذا الوجدان المشبوب برسائلها الملتهبة طوال ثلاث سنوات . ثم كان اللقاء الثالث من ٩ الى ١٢ آب (اغسطس) في تبلتس Teplitz فأسرت الى جيته بدفين غرامها وكوامن عواطفها ، ثم تصرح له بأنها ستنتهي بالاقتران بالشاعر آرنم ، صديق اخيها كليمانس .

ماذا ارادت من وراء هذا التصريح ؟ نحن نرجح ان يكون ذلك من اجل اثارة الغيرة في نفس جيته ، شأن الفتيات دائماً في اشباه هذه الاحوال . بيد انها اخطأت مرماها ، فان هذا النبأ قد سر جيته الى ابعد حد ، لان تحققه سيضع حداً لتلك العاطفة الجامحة من جانب الفتاة ، وهي عاطفة لم يسع اليها ولم يكن راضياً عنها ، لانها توشك خصوصاً ان تفسد الامر بينه وبين زوجه كرستيانه فلبيوس Christiane Vulpius . بيد ان خطبتها الى آرنم لم تقض

على هذه الصلة ، اذا استمرت الفتاة تدفع برسائلها وجيته يرد عليها من حين الى آخر . ثم اقترنت بآرنم في الحادي عشر من آذار (مارس) سنة ١٨١١ . وعند هذا كتبت الى جيته الرسائل الاربع الكبرى التي روت فيها ذكريات والدة جيته عن طفولة ابنها . وكان جيته في ذلك الحين يفكر في ان يكتب مذكرات عن حياته ، فاستعان ببتنا ، لانها هي وحدها التي كانت تعرف هذه الفترة من حياته بعد وفاة والدته ، وكانت بتنا تود هي ان تفيد من هذه الذكريات للكتابة عن حياة جيته ، ولكنها آثرت جيته - في سبيل حبها له ؟ - على نفسها .

وهنا كان لا بد لهذا الالحاح من جانب الفتاة ان يثير ثائرة الغيظ المكظوم الراقد في أعماق كرستيانه . فترصد الفرصة الى ان سنحت في الثالث عشر من شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٨١١ . ذلك ان آرنم وبتنا وكرستيانه قد قرروا الذهاب في ذلك اليوم لزيارة معرض فني نظمه هنري ماير ، صديق جيته . ويقال ان كرستيانه - وكانت من الدهماء ، ضئيلة الحظ من الذكاء والثقافة ، قد أبدت على اللوحات المعروضة احكاماً تبدت لبتنا - الفنانة الموهوبة العميقة الثقافة - مضحكة خليقة بالتهكم . فانفجر الحنق الكامن في نفس كرستيانه بكل قوة وعنف ، حتى اشارت بيديها اشارات عصبية أدت الى اسقاط منظار بتنا وتكسيره ، ثم فارقتها وامرتها بألا تدخل بعدُ بيتها .

وسرت انباء هذه المعركة بسرعة البرق في انحاء فيمار ، وكانت جماعتها لا تؤثر كرستيانه بالحب ، لوضاعة طبقتها وخلوها من السمو الفكري ، ولحقد هذه الجماعة عليها لانها اقترنت بالنجم العظيم جيته . وفضلا عن هذا فقد كانت بتنا على حق في حكمها على طريقة فهم كرستيانه . ولكن جيته ، وهو الحريص على ان ينعم بالسلام في بيته ، اضطر ان يأخذ جانب زوجه ، ورفض ان يجيب عن رسالة بتنا التي ترجوه فيها ان ينسى ذلك الحادث المشؤوم . وكانت من ناحية اخرى فرصة حاسمة لقطع هذا الوجدان الثقيل - اعني غرام بتنا . فقطع صلته بها على الرغم من تضرعات هذه الهريئة ، تضرعاتها المتوالية غير المستيئسة الى حد انها ذات مساء وكان لدى جيته استقبال اعلنت عن قدومها فاضطر جيته مرغماً الى لقائها ولكنه لقيها بكل برود ولم يكد يوجه اليها كلمة . واستمر هذا الالحاح حتى سنة ١٨٢٤ دون جدوى ، على الرغم من ان كرستيانه قد توفيت سنة ١٨١٦ ووجدت بتنا في وفاتها فرصة سانحة لاستئناف صلتها بجيته ، ولكن استمراره في رفض تلبية ندائها يدل على ان قطعه صلته بها لم يكن من اجل كرستيانه وحدها ، بل كان خصوصاً لانه يريد الخلاص من غرامها الملح الثقيل .

لكن متى عدمت المرأة الحيلة ؟ ان اهل الفن يؤتون خصوصاً من ناحية الغرور فيهم فالتفتت بتنا الى هذه الناحية ، فما كادت تسمع بأن لجنة تأسست في فرنكفرت لاقامة تمثال لجيته وكل امره الى كرستيان روخ Rauch حتى نظرت في المجمل الذي عمله هذا الفنان ، فلم يعجبها ، فعملت هي مجملا لقي اعجاباً في وسطها فارسلته الى جيته مؤكدة استمرار حبها ، فدهش جيته من صنيعها هذا ، ولان قلبه . فلما غدت بتنا الى فيمار في نهاية تموز (يوليه) سنة ١٨٢٤ احسن جيته لقاءها ، وان يكن يخالجه شيء من التحفظ ، لكنها كعادتها وصفت هذا اللقاء بكل حماسة وتلاعب . وشجعها هذا اللقاء فعادت مرة اخرى في آب - ايلول (اغسطس - سبتمبر) سنة ١٨٢٦ ، وكان لقاء اخيراً حدث فيه سوء تفاهم جديد ، بسبب مسعى لها لدى الدوق كارل اوجست ، امير فيمار . وآلى جيته هذه المرة ان يصرم علاقته بها الى غير رجعة ، فلم تفلح توسلاتها الجديدة ورسائلها المتوالية في استعطافه ، وكان آخر وسائلها معه ان بعثت بابنها الثاني الى جيته في العاشر من شهر آذار (مارس) سنة ١٨٣٢ ، فتلقاه الشيخ بالترحيب لذاته . لا لامه فلم يكد يحدثه عنها . وكان هذا آخر شخص لقيه جيته قبل وفاته في الثاني والعشرين من آذار سنة ١٨٣٢ .

ولكن اذا كانت لم تنل بغيتها في حياة جيته ، فلتنلها بعد وفاته . فنشرت في سنة ١٨٣٥ كتاباً بعنوان « رسائل جيته مع طفلة » زعمت فيه ان هذه الرسائل هي التي تبادلها معها جيته وكانت في الحق في الكثير من اجزائها من صنع بتنا ، انما لفقت من بعض الرسائل الحقيقية قصة غرامية عملت فيها يد الخيال عملا بعيد المدى ، حتى اتت عملا فنياً من الطراز الاول ، عده النقاد من خير ما انتجه المذهب الرومنتيكي في المانيا . وما استطاعت الفتاة ان تخدع احداً عن حقيقة هذه الرسائل ، ومع ذلك اعوزتهم الرسائل الحقيقية منذ ذلك الحين حتى سنة ١٩٢١ حينما نشرت لاول مرة الرسائل الحقيقية المتبادلة بين جيته وبين الفتاة بتنا برنتانو . فماذا كسب الناس من نشر هذه الرسائل ؟ .

اما التاريخ فقد كسب ، فهذا امر لا شك فيه ، اما مكسب الادب فمشكوك في امره كل الشك . ومن يدري ! فلعل الاسطورة هنا - وفي كل مكان ؟ - اصدق من التاريخ .

عبد الرحمن بدوي

حمائم لبنان

ابيات تنشدها الفرقة الفنية اللبنانية في حفلات الطرب التي تحييها في هذه العاصمة

★

حمائم لبنان ، هل تذكرين رفاقك ، بعد اغتراب الرفاق ؟
لكم سجعوا مثلما تسجعين خلال الغصون ، حيال السواق .
سألنـاك يا مرسلات الحنين أكان الحنين نذير الفراق ؟
غدونا عشيراً ينـاجي عشير وانت بواد ونحن بواد
زجلنـا الاغاني اليك تطير وان الاغاني طيور الفؤاد .

***

حمائم لبنان ، مدّي الهديل جناحاً ، غدّ اليه الجنـاح
شراعان ، كلٌّ يروض السبيل الى موعد ضوبته الرياح .
سـلي عنهما هيمان الاصيل وزهو الليالي ونور الصبـاح
اذا انطلقـا كانطلاق الزفير او التقيـا كالتقـاء الزناد
سرت خلجات الهوى في الاثير وهب النسيم يذيع التنـاد

***

حمائم لبنـان ، شط المزار ومـا شط عنّا خيال الوطن
يجوب المهـاجر صوت الديار باصواتنـا ، فيثير الشجن
تأهـل بالمستجير الجوار ورحّب بالفن اهل الفطن
سلام عـلى المحفل المستنير بزهر الوجوه وبيض الاياد
سـلام على سامع في الضمير من المنشدين نداء البلاد !

يونس ابرس جورج صيدح

حب في الشتاء

للكاتب الروسي انطون تشيكوف ترجمها جميل حمودي صاحب مجلة الفكر الحديث العراقية

☆

كانت ظهيرة صافية من ذلك الشتاء . وكانت صرصرة الجليد حادة ، وكانت ضفائر (نادينكا) المتدلية على اصداغها ، والزغب الناعم النابت على شفتها العليا ، مكسوة كلها بطبقة من الصقيع الفضي .

كنا واقفين على تل مرتفع وهي تتشبث بذراعي ، وقد امتد من حيث وقفنا الى هناك حيث الارض المتمادية تحتنا ، منحدر ناعم شديد الانحدار ، وقد غمرته الشمس بانعكاسات اشعتها التي جعلته أشبه بالزجاج . وفي الجانب منا عربة تزحلق صغيرة خططت بشريط أحمر براق .

« دعينا ننزل يا ناديشدا بتروفنا » . . . بهذه العبارة توسلت اليها ، ثم أضفت « مرة واحدة فقط . اؤكد لك أننا سنكون بعيدين عن الخطر » . ولكن نادينكا كانت خائفة ، وخيل اليها ان النزول من خفيها الصغيرين الى القعر من التل الثلجي شيء مخيف ، وانها أمام دركة جسيمة . وتطلعت الى الاسفل حين اقترحت عليها ان نحتل مكاننا في العربة ، فما أسرع ما وهنت روحها وارتبك تنفسها ! فكيف اذن يكون الحال لو كانت هذه العربة طائرة بنا الى اعماق الهاوية ! . . . ربما تموت ، أو تجن . . .

وقلت لها وأنا أحاول اقناعها : « أتضرع اليك ان لا تكوني خائفة ، وأنت تعلمين أن شعورك هذا جبن . وانه ليس من الشجاعة في شيء » . . .

واخيراً استطعت اقناع نادينكا . الا أنني لمحت في وجهها أنها انما أذعنت في رعب مميت . فأجلستها في العربة مخطوفة اللون مرتعشة وأحطتها بساعدي ، ثم انطلقنا في المنحدر . . .

انطلقت العربة بنا كأنها رصاصة البندقية . والهواء المنشطر بمروقنا يضرب وجهينا ويزمجر ، ليرتد فيعصف برؤوسنا كأنه يحاول خطفها من على اكتافنا . كان من الصعب ان نملك القوة التي نتنفس بها من الريح الماحقة ، وخيل الينا كأن الشيطان الهائج قد قبض علينا بمخالبه يجرنا الى دركات جهنم . كنا بين اللحظة والاخرى نتصور أننا على وشك أن نهلك .

« أحبك يا ناديا » . . . قلت ذلك بصوت خافت . وبدأت العربة تتباطأ . وزمجرة الريح ، وأصوات العربات الاخرى صارت أقل ازعاجاً ، وكان اسهل علينا ان نتنفس فقد وصلنا اخيراً الى القعر . وكانت نادينكا الى الموت اقرب منها الى الحياة . كانت مخطوفة اللون تتنفس بصعوبة . . . وساعدتها على النهوض ، فقالت وهي تنظر الي بعيون واسعة مليئة بالرعب : « لن يقنعني شيء ، أي شيء في العالم ، أن اذهب ثانية . . ، لقد كدت أموت » .

ولكنها استعادت نفسها بعد قليل ونظرت الي تستفهم من عيني متعجبة ، هل أنا حقيقة تمتمت تلك الكلمات الثلاث ، ام انها هي اختلطت عليها الاصوات فخيل اليها ذلك ! ؟ . أما انا فقد وقفت الى جانبها أدخن وأنظر بانتباه الى قفازي . وبعد حين أخذت نادينكا ذراعي فأمضينا هنيهة طويلة نتمشى قريباً من تل الثلج ، الا أنه كان جلياً أن اللغز لم يدعها ترتاح . . . هل ان تلك الكلمات قيلت ام لا ؟ . . . نعم أم لا ؟ . . . نعم أم لا ؟ انه سؤال يتعلق بعزة النفس ، بالشرف ، بالحياة — سؤال مهم جداً ، السؤال



الاهم في العالم . وبصبر نافد أرسلت نادينكا الى وجهي نظرة حزينة نفاذة الوميض وانتظرت لترى ما اذا امتنعت أنا عن الكلام . ويا لله من لعب الاحاسيس على الوجوه الجميلة !

لقد رأيت أنها تكافح نفسها في أن تقول شيئاً ، او أن تسأل سؤالاً . ولكنها لم تقو على اختيار الكلمات . ولقد أحسست انها عديمة المهارة ومضطربة . ولكنه ظهر على محياها بريق مفاجىء فأسرعت تقول من غير ان تنظر اليّ :

« هل تعلم ؟ »

وسألت بدوري :

« حسناً ؟ »

فأجابت :

« دعنا . . . نتزحلق ثانية . »

تسلقنا التل الثلجي بالسلالم ثانية . وأجلست نادينكا مخطوفة اللون مرتعدة في العربة . وانطلقنا ثانية الى الهاوية المرعبة ، وبدأت الريح تعصف مرة اخرى والعربات المتزحلقة الاخرى تصوّت ، وثانية عندما صار سير عربتنا خاطفاً ومصوتاً قلت بصوت خافت :

« احبك يا ناديا . » .

وعندما وقفت العربة ، رشقت نادينكا التل بنظرة من الجهة التي مرقنا منها ثم صوبت نظرة طويلة الى وجهي ، واصغت الى صوتي الذي كان رزيناً وغير مرتعش اما هي ، فقد كان كل شيء في تكوينها ، كل ناحية منه حتى فروتها وقلنسوتها كانت تعبر بأقصى ما يمكن عن شدة حيرتها كأن على وجهها بات مكتوباً :

« ماذا تعني ؟ من تمتم تلك الكلمات ؟ هو ؟ ام انني واهمة ؟ » .

أتعبها عدم التأكد وجعلها تخرج من حالة الصبر . ولم تستطع الفتاة البائسة ان تحل اللغز فاذا بهـا توشك ان ترسل الدموع . وحينئذ سألتها :

« أليس من الافضل ان نذهب الى البيت ؟ » .

الا أنها قالت وقد احمرت وجنتاها :

« حسناً انني . . . انني احب التزحلق ، فهل سنتزحلق مرة اخرى ؟ » .

انها اذن « احبت » التزحلق بالعربة ! ، على الرغم من انهـا كانت في هذه المرة ايضاً ، كما في المرتين السابقتين ، مخطوفة مرتجفة يصعب عليها التنفس من الفزع .

وهكذا رحنا نتزحلق للمرة الثالثة . ورأيتها تنظر الى وجهي وتراقب شفتي ، ولكنني وضعت منديلي عـلى شفتي وسعلت ، وحالما وصلنا منتصف التل نجحت في ان الفظ بصوت خافت :

« احبك يا ناديا . » .

وفي طريق عودتنا الى البيت ، وجدت نادينكا ساكنة تفكر في شيء ما وقد جربت ان تتباطأ في المسير وترخي خطاها . وظلت تنتظر لترى فيما اذا أسكت عن قول تلك الكلمات لها ورأيت كيف ان روحها كانت تتعذب . وكيف ان انفعالها كان يمنعها ان تقول لنفسها : « انه ليس من الممكن ان تقولها الريح ، ولست اريد ان تكون الريح قد قالتها . » .

وفي الصباح الثاني تلقيت رسالة مختصرة :

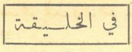
« اذا كنت راغباً في التزحلق اليوم ، فهيا الي »

ومنذ ذلك الوقت بدأت اذهب كل يوم للتزحلق مع نادينكا . وكلما انطلقت العربة بنا كنت اتلفظ بصوت خافت نفس الكلمات .

وما مر الوقت حتى تعودت نادينكا تلك العبارة كما لو انها الكحول او الافيون . اضحت لا تحتمل ان تحيا بدونها . اما التزحلق من التل الثلجي ، فقد كان في الحقيقة يرعبها مثل ما حدث في السابق ، ولكن الفزع والخطر قد اضافا بعدئذ جاذبية خاصة لتلك الكلمات . كلمات الحب التي لم تكن سوى سر مؤلم لها . ان نفس الاثنين ، أنا والريح ، بقيا متهمين . . لم تكن تعلم أيهما كان يدعي حبها « ولكن لم يعد يهمها ذلك . وحدث ان ذهبت الى ساحة التزحلق وحيداً في ظهيرة يوم ، مختلطاً بالمحتشدين ، فرأيت نادينكا تصعد التل باحثة عني شاعرة بالخيبة . . كانت مرتعبة جداً لذهابها وحدها . فمضت الى المصطبة الا أنها مضت بثبات ودون ان تنظر خلفها فلقد صممت أخيراً ان تظاهر الذوق في تصرفها وتنتهي اليه . فهل ستسمع تلك الكلمات حين لا اكون انا هناك ؟!

لقد رأيتها مخطوفة . وشفاهها متباعدة لفرط الارتجاف ، حين اخذت مكانها في العربة واغلقت عينيها . وتناست شواغل فكرها وهي كأنها تودع الارض الى الابد . اما ان نادينكا سمعت تلك الكلمات ام لا فلست ادري . ولكني فقط رأيتهـا تنهض من العربة وهي في حالة الضعف والتلف بحيث يستطيع من يراها ان يفهم من وجهها انها لا تستطع ان تقنع نفسها سواء أسمعت شيئاً ام لا . ان جزعها ، وهي تتزحلق ، حرمها قوة السمع وتمييز الاصوات لقد جرتها غيرتها العظيمة وانفعالها العميق الى ان تحل هذا السر المحبوب . الا انها لم تجرب التزحلق وحدها ثانية .

واقبل شهر مارس . . واشعة شمس الربيع صارت اكثر رحمة .



في البدء كان آدم وكانت حواء من ضلعه وأحبها وأحبت هي حبه لها . وأتاح لهما الله ان ينعما بالجنة ، بكل ما فيها ، الا شجرة معرفة الخير والشر فانه نهاهما عنها .

ولم يكن في خلد آدم ان يعصي الله ، ولكن حواء في ساعة من ساعات عبثها ومجونها تمنت ان تأكل من الشجرة المحرمة وابانت رغبتها لآدم فقام لفوره يسعى الى الشجرة وخشيت حواء سوء المصير ، فنهته فلم يرتدع ، ذلك لان حواء أرادت فليكن لها ما تريد لا يبالي بعدها ما يكون شأنه مع سيد الجنة .

ويمسك آدم بغصن من الاغصان ويهم بجذبه اليه فتصيح حواء : « يا آدم لا تفعل فاني اخاف ان نغضب الله بفعلتنا . » .

ولكن ادم فعل فقصف الغصن وأخذ تفاحة كانت فيه ولم يذق منها شيئاً ، وانما قدمها لحواء وسمرعينيه في عينيها عله يلمس فيها دلائل الرضا .

وحواء أخذت التفاحة واكلت منها بشغف . ولم تكن لذتها بالتفاحة لتفوق لذتها بانقياد آدم لمشيئتها وتمرده على مشيئة الخالق من اجلها . ولكنها لم تلتفت اليه بل قالت بجدوء وقساوة : « لقد اتينا أمراً منكراً ولا أدري ما تكون عاقبة فعلتك هذه ، لقد جنيت علينا يا آدم واني اتوجس شراً قم بنا نختفي من وجه الله . »

واغتم آدم ان تفكر حواء بالمصير وان لا تكون فرحة بما اتى من اجلها .

وانكشفت فعلة آدم وحواء وغضب الله فأخرجها من الجنة وكأن آدم لم يبال بالعقاب ، وما همه ان يكون خارج الجنة وهذه حواء معه ، هي الجنة باطل كل شيء عداها .

وحواء اني اكلت من شجرة الخير والشر تدرك عظم الذنب فتحمل آدم وحده مسؤولية هذا العصيان وتنغص حياتها وتنغص حياته معها دون ان يعرف سبباً لهذه الكآبة الدائمة التي تغمرها ، فانه لم يذق من ثمرة المعرفة وانما هو اطاع رغبة في نفس حواء أراد ان يملأ حياتها بها غبطة . وانه لو رجع الى الجنة بعد ليذهبن تواً الى الشجرة المحرمة يقطف منها لحواء ، فهو ليس بنادم ، فما حبه لحواء بالعمل المنكر .

فكم يخاطب الله بينه وبين نفسه بشيء اشبه بالصلاة : « ربي انت جبلتني على المحبة ، وابحت لي جنونها ثم رحت تعاقبني ان انا اتيت امراً باسمها .

فما المحبة ان لم يتمرد الانسان في سبيلها .

وما المحبة اذا لم تتخط القيود والقوانين .

وما المحبة اذا كتفت يدي امام رغبة في نفس من هي ضلع مني لا لشيء الا لانه محرم .

ربي انا لست بنادم على قطف الثمرة المحرمة ، ولست بحاجس ان اعود الى الجنة ، فهذه حواء معي المح فيها أجمل ما في الفردوس . فيا ليتها تقلع عن التفكر بتلك الثمرة التي بدلت مصيرنا وتلتفت الى اي محرم جديد ، فأكسر أغصانه من اجلها .

حلمي معلوف

وتحول تلنا الثلجي الى الاغبرار فاقداً بريقه ، وانقطعنا نحن عن التزحلق . ولم يكن بعدئذ للبائسة نادينكا مكان تتطلع فيه الى سماع تلك الكلمات التي لم يتمتمها احد منذ ان انقطعت الريح .

وكنت قد عزمت على السفر الى بطرسبورغ في رحلة طويلة ربما تستمر الى الابد . وقبل رحيلي بيومين حدث ان كنت جالساً ، عند غبش المساء في الحديقة الصغيرة التي كانت قد انفصلت عن ساحة دار نادينكا بسياج عال تعلوه الابر الحديدية . . وكان الجو لا يزال لطيف البرودة وقد تخلف بعض الثلج في اكوام السماد . وكانت الاشجار كأنها مائتة . ولكن كان هناك عبير الربيع المنعش ، والزيغان ، وقد حطت لتنعم براحة لياليها . صعدت الى السياج ووقفت برهة طويلة اسارق النظر من خلال فرجة صغيرة فيه وفجأة شعرت بالوحشة تسري في نفسي حتى حسبت او كدت احسب اني سوف لا ارحل . رأيت نادينكا تخرج الى الطارمة وتستقر في تفجع ثم تتطلع بحنين وشوق الى السماء . كان هواء الربيع يضرب باستمرار في وجهها المخطوف الكئيب . لقد اعاد اليها ذكرى الريح التي كانت تعصف بنا على التل حين سمعت تلك الكلمات الثلاث . وصار وجهها مليئاً بالحزن . واذا دمعتها تنحدر الى اسفل خدها ، واذ الطفلة البائسة تمد ذراعيها كأنها كانت تلتمس الريح ان تسمعها كلماتها تلك مرة اخرى . ولبثت تنتظر شهامة الريح . وحينئذ قلت بصوت خافت :

« احبك يا ناديا . » .

وغمر نادينكا الشعور بالامتنان والشكر فعبرت عنه بصرخة خافتة ثم ابتسمت ابتسامة ملأت محياها . وظهرت علائم البشر والسعادة فمدت يديها لتعانق الريح ممتنة شاكرة . وذهبت أنا اتهيأ للسفر .

كان ذلك منذ وقت طويل . ونادينكا الآن متزوجة . تزوجت رجلاً يشغل وظيفة . سكرتير عند احد الوجهاء ، ولست ادري ما إذا كان من المفضلين لديها املا ، فهذا لا يهم كثيراً ، ولها الآن ثلاثة اطفال . . لقد كان ان ذهبنا مرة نتزحلق معاً فتسمعها الريح ، او غيرها ، هذه الكلمات التي لم تستطع نسيانها والتي هي لها الآن الذكرى التي تغرقها بالسعادة وبالتأثر اكثر من اي شيء في حياتها . . .

والآن ، وقد كبرت ، لا استطيع ان افهم السبب الذي دفعني الى تمتمة تلك الكلمات والباعث الى تلك الدعابة .

باريس

جميل حمودي

الشاعر والمومياء

☆

من ديوان رفيف الاقحوان
المعدّ للطبع

☆

للدكتور نقولا فياض

●

الشاعر :
يهنيك نومك يا ابنة الازمان ... في القفر يرعى ليلك الهرمانِ
هل انت آسفة على عمر مضى ... ام انت ناعمــة بعمر ثان
بدّلت بالقصر التراب وبالشذى ... ملء الازار القار في الاكفان
نزعوا فؤادك فاسترحت من الهوى ... وسكنت بعد الوجد والخفقان
تمشي العصور وانت واقفة فلا ... تتأثرين لنـازح او دان
وتقوم حولك صيحة الدنيا فلا ... ترتاع منك لسمعهـا اذنان

المومياء :
أمريد سر سكينتي لا تغترر ... فانا بهـا اشقى وغيري الهاني
لا ينفع الميت البقـاء فليته ... ما كان في الاحياء من أبقاني
بل ليتهم طرحوا رفاتي في الفلا ... لوحوشـه نهبـاً وللعقبـان
او في التراب ، اصير من اجزائه ... والريح تذريني بكل مكان
فأعود للكون الذي فـارقته ... ويجدد العهد الجديد كيـاني
تلك الحياة ، وليس ما ضمختم ... جسدي به وكحلتم اجفـاني
في ظلمة القبر السحيق ومهجة ... الصخر العميق يبيت جسمي العاني
لا النيل يرويني ولا بدر الدجى ... يومـاً ينير شعاعه جدراني
جاري ابو الهول المقيم على المدى ... سهران فوق رمـاله يرعـاني
أخذ العصور بصدره ، فكأنما ... عيناه في الاعصـار غائرتان
و«أبيس»* في اوج الضريح محاق ... فوقي ولا يقوى على الطيران
وحيـال قبري كل آن ضجة ... تطوي اليّ مراحل النسيـان
طوراً انين العاصفـات وتارة ... ايقاع دمع العارض الهتـان
والريح تسحب في العراء ذيولها ... مـا بين نقع ثائر ودخـان
كل ينـاديني فتخفق اضلعي ... اصداه تحت لفائف الكتان
قومي ، فقد دعت العناصر ، والبسي ... حلل الطبيعة وامرحي بأمان
نحتل من جسم الوجود صميمه ... ونشارك الافلاك في الدوران
قومي ، لعلك زهرة البستان او ... روح تحرك زهرة البستـان
ولربما تخذت محـاجر كاعب ... منك الفتور للحظهـا الوسنان
كم من دم عصر المدام واعظم ... صاغت عناصرهـا حلى التيجان
وبجنح هز الغصون فمذ هوى ... ردت جوانحـه الى الاغصان
ما انت عبر الكون الا آلة ... يعتدهـا في معمـل العمران
بل قطرة من بحره وشرارة ... من شمسه في الهيكل الانساني

الشاعر :
يا عبرة الايام جئتك لاهياً ... فرجعت منك بحكمة وبيان
شكواك للانسـان قـائلة له ... لا تنخـدع بالعلم والعرفان
تبني ويهدمك الزمان وهكذا ... يبقى البناء وليس يبقى الباني
ان الحيـاة جنـاية انما كفى ... حتى اردت خلودهـا يا جان
عللت نفسك بالدوام فلم تدم ... الا الشنـاعة في مثال فان

* ابيس طائر مصري قديم لم تزل منه بقية في ارض مصر وعلى الاخص في الصعيد . وكان قدماء المصريين يعظمونه ويقدسونه وينسبونه الى رب الحكمة (توت) ويرسمون هذا المعبود برأس ابيس . وقد اكتشف الاثريون بصعيد مقبرة جثث محنطة من هذا الطائر

التوفيق بين الحكمة والشريعة عند ابن رشد

بقلم محمد عبد الرحمن مرحبا

☆



محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة، ظاهرة طبيعية في تاريخ الفكر البشري. وهذه المحاولة ان دلت على شيء فعلى ان التوازن بين الفكر والعقيدة يجب اقراره، والا فالوجود الانساني في خطر، ولا بد ان يتناقض الانسان مع نفسه ومع الاحوال والملابسات التي تحيط به.

وهذه المحاولة ليست ضرورية في البلاد التي تعتمد على الدين في جميع شؤونها واحوالها، ولا تفهم من العالم الا انه اشباح وارواح في خدمة المؤمنين الصالحين، وكذلك ليست ضرورية في البلاد التي تعتمد على العلم وحده في جميع مرافقها واعمالها، وتضرب بالدين عرض الحائط، وانما هي ضرورية جداً في البلاد التي تعتقد وتفلسف وتدين بالجانبين معاً، حيث يقوم في بادىء الامر تعارض شديد جداً بين الفلسفة والدين لتباين وجهات النظر وطرق البحث والتفكير فيهما، وتحدث ازمة في الفكر والمعرفة يجب مواجهتها وتسويتها وقد تبلغ حالة التوتر حداً يؤذن بالتفكك والانفجار.. وتكون النتيجة غالباً التضحية بجانب الفكر او جانب العقيدة للابقاء على الجانب الآخر، فراراً من المشكلة وتخلصاً من ضغط الواقع.

ولا تدوم حالة عدم الاستقرار هذه طويلاً، اذ انها ليست طبيعية. وغريبة عن المجتمع السوي، وسرعان ما يبرز في المجتمع عظيم يحقق همزة الوصل بين جانب الدين وجانب الفلسفة ويقيم التفاهم بينهما، وما ينفك هذا الاتصال يربو ويربو حتى تستقيم امور الحياة ويزول التناقض والتعارض بين كل منهما وتعود الامور الى مجاريها.

وظهور هذا العظيم شيء طبيعي جداً، بل لا بد منه، فهو تعبير عن الحالة العامة في المجتمع، وصدى للحاجة الملحة الى الاستقرار والتوازن واذان ببدء عهد جديد واستئناف حياة جديدة، وبمقدار ما تكون الحاجة الى هذا العظيم شديدة ماسة وبمقدار ما يجيد التعبير عن هذه الحاجة، ينجح في التجربة التي يحياها، ويقضي على العناصر التي تعوق بعثه وانطلاقه، وهذه هي وظيفة العظيم.

على ان هذا لا يعني مطلقاً تحجر الانتاج الفكري في المجتمع وتصلبه بمجرد الوصول الى حالة الاستقرار والتوازن، كلا فهذا ما لم اقصد اليه، وكل ما هنالك انه يتخذ درجة اخرى غير درجته الاولى، واعتباراً آخر يتميز تميزاً شديداً من اعتباره الاول، وبعبارة اخرى ان الانتاج الفكري في هذه الناحية يظل يربو ويزداد في المجتمع، واستمرار المناقشات والمساجلات التوفيقية يظل قائماً رغم امعان التوازن والاستقرار ولكن هذا الانتاج لا يعود جوهرياً حيوياً كما كان في المرحلة الاولى، وانما يعود ضرباً من البهلوانية العقلية، وترفاً فكرياً وثراء في المعرفة، وتوسعاً في التكامل لا تمس الضرورة اليه، وتكون منزلته حينئذ ثانوية ملحقة، بالقياس الى ما يلح على المجتمع من المطالب والرغبات، وما يعتمل فيه من افكار ومبادىء اساسية، وما يدين به من مثل عليا ضرورية للنمو.

هذا وان عمل العظيم الذي يقيم الصلة والتوازن والاستقرار

لا يكون فجائياً مرتجلاً اشل مفصولاً عن عصره والعصور التي تقدمته وعديم الصلة بما سبقه من المحاولات والاعمال ، بل لا بد ان يكون لعمله هذا سوابق ومقدمات تاريخية، ولا بد ان شروط هذا العمل ترجع الى سياقها الماضي الحي ، وان بذوره قد قامت بالفعل في اذهان من تقدموا من المفكرين والمصلحين الذين عاشوا في شروط واحوال وملابسات تقارب الشروط والاحوال والملابسات التي حيّها ونشأ فيها عظيمنا هذا ، والتي لا تختلف عنها الا في كونها اشد واقوى ، فكان تعبيره عنها اوضح واتم واكثر تميزاً ، بمقدار الفرق بين الحالتين المتقاربتين السابقة واللاحقة، وحسب استعداد الجماعة وحاجتها الى الدعوة الجديدة، وهكذا فكل دعوة جديدة هي توسع في دعوة سابقة لم تكن قد نضجت شروط ظهورها وامتداد لها واستمرار لنموها . . وهكذا نرى ان لكل دعوة جديدة جذوراً تمتد في سياقها الماضي ، وبذوراً يتسلمها الخلف من السلف ، ويقوم باستغلالها واستنباتها وابتكار اضافات جديدة يضمها اليها ، تجليها شروط الحياة الجديدة والاحوال والملابسات التي تقوم في المجتمع الجديد . . وهكذا يتصل الماضي بالحاضر ، ويكون الاثنان مادة للمستقبل الذي سيحضر ثم يمضي ليؤلف التاريخ ويجر عجلة الزمن . . هذا هو منطق التاريخ وهذا هو التفسير الطبيعي الذي يرتضيه العلم وروح التطور . . ولعل هذا كله يفسر لنا . . صنف الدعوات المبكرة التي تسبق عصورها ، وضروب الاضطهاد والتنكيل التي يلقاها رجالها ومريدوها من الجماعات التي يعيشون فيها، بمقدار استغناء هؤلاء عنها، واستكفائهم بشروط حياتها الاولى .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات يجب ان اسير في دراسة ابن رشد وفي دراسة الطريقة التي اتبعها في محاولة التوفيق بين الحكمة والشريعة، فأقف عند عصره وقفات قصيرة وادرس التيارات التي كانت تعمل فيه والملابسات التي كانت تحيط به ؛ وصلته بالعصور التي سبقته ، والاسباب التي حدت بفيلسوفنا الى تجربته التوفيقية هذه ، وهل كان مسبوقاً بهذه التجربة ام كان مبتكراً ، والى اي حد كان تعبيراً عن عصره ، وهل اجاد التعبير — الى غير ذلك مما يتصل بهذه المسألة ، ولعل دراستي له ان تكون تطبيقاً مختزلا لكل ما ورد في صدر هذا البحث عن طبيعية هذه التجربة وشروط ظهورها ، وحاجة العصر اليها ، وعساني ان اصل اخيراً الى ان منطق الاحوال والظروف التي وجد فيها كان يلح بهذا التعبير ، ويقتضي هذه التجربة اقتضاء تاماً .

نشأ فيلسوف قرطبة في عصر بلغ فيه مجد الاسلام قصارى ازدهاره وبعثه وسما الى آخر ما يمكن سموه ، وبلغت الحضارة الاسلامية فيه اقصى امكانياتها وكل ما وسعها من التكيف وتحقيق الذات واثبات الوجود واستكمال مقومات الحياة ، يقابل هذا نمو بنفس الدرجة للتفكير الفلسفي والبحث الفكري الخالص والفعالية والنشاط ، فلقد بلغت الفلسفة في هذا العصر مثلها الاعلى في النظر والاستدلال وشأواً عظيماً من الكفاية والخصب والامتاع ، واصبحت مدارس الاندلس زعيمة الفكر الفلسفي في العالم، كما اصبح قادة الرأي فيها اساطين الفكر واساتذة العالم الوسيط ومن الطبيعي ان يتأثر عقل كبير كابن رشد بهذا التكافؤ والتقابل فيشارك في هذه الحركة ويخلق منها ويقدم لها معظم موادها الاولية ، حتى ليصح ان يقال ان شطراً كبيراً مما بلغته الفلسفة آنذاك قد تم على يد ابي الوليد . وكان لهذا التقابل الشديد بين الدين والفلسفة من حيث ازدهار كل منهما ، ومن حيث تشابه كل منهما في درجة النضج والكفاية والاشباع واثبات الذات — اقول كان لذلك كله اثر كبير في قيام سوء فهم للصلة بين الدين والفلسفة وكان احساس العصر بالتباعد بينهما بمقدار احساسه بازدهار كل منهما ، وبعبارة اخرى لقد كان هنالك معسكران يتشابهان في القوة والنفوذ ، هما معسكر الدين والفلسفة ، فالدين قد بلغ اوجه والفلسفة قد بلغت اوجها ، وبمقدار تشابههما في درجة النضج والتأثير والفعالية ، كان يشتد الجفاء بينهما ، وبالتالي يشتد التعارض والتباعد، لذلك بلغت مسألة التوفيق بينهما في هذا العهد كل اهميتها وكل الحاحها ، وكانت كل شيء في عناية الوسطاء ومسؤولية رجال الفكر واهل الفلسفة والنظر . يؤكد هذا ما يقوله « ليون جوتييه » المستشرق الفرنسي المشهور : « انه في البيئة التي كان يعيش فيها ابن رشد كانت محاولة التوفيق بين الفلسفة الاغريقية والاسلام على ما فيها من صعوبة وعسر ، مسألة حياة او موت بالنسبة الى الفلسفة في عصر ابن رشد بصورة خاصة وفي عصر سائر فلاسفة الاسلام بصفة عامة ايضاً » المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية صفحة ١٨١ .

وكما قلنا فان ابن رشد لم يكن اول من حاول التوفيق بين الحكمة والشريعة ، كلا ، بل كان آخر من فعل ذلك ، اذ كان قد سبقه الى هذه الخطوة الكندي ثم الفارابي ثم ابن سينا ثم ابن طفيل ، وكان ضعف دعوات هؤلاء الموفقين يتدرج في القوة والحياة

بمقدار الفرق بين عصورهم وعصره ، فهم وان يكونوا قد حاولوا هذه الخطوة ، الا ان محاولاتهم كانت ضعيفة ساذجة لانها لم تكن تعبيراً عن العصر صحيحاً ، ولم تكن بعد قد وصلت الى درجة الحاجة ، اي لم تكن الحاجة الى عملهم كبيرة بنفس الحاجة الى عمله ، وبعبارة اخرى ، لم يكن هنالك قبل عصر ابن رشد تكافؤ تام بين الوعي الديني والوعي الفلسفي مما هو شرط اساسي في نظري لوصول التوفيق الى درجة الحاجة ، بل كان الوعي الديني هو الوعي الغالب في حين ان الوعي الفلسفي كان لا يزال بكراً ، او شيئاً اكثر من هذا قليلاً ، بالقياس الى الوعي الديني ، وهكذا فوصول الوعي الديني والوعي الفلسفي الى حد التكافؤ الشديد هو المسؤول عن قيام التعارض بينهما ، وبالتالي ظهور تسوية ابن رشد في التوفيق بينهما ظهوراً قوياً لا هوادة فيه ، ففي عهده كان التكافؤ بين الوعيين تاماً ، فقام التعارض بينهما ، وكانت شروط التوفيق اكثر توفراً ، وكان مجال عمل ابن رشد اوسع مدى واكثر تهيؤاً ومعنى هذا ان الظروف يجب ان يقام لها الوزن الاول في ظهور نظرية التوفيق تامة قوية لا غبار عليها واخراج كتاب خاص بها يمثل نصراً للاحوال والملابسات وعملا تاريخياً فذاً لا بد منه ، واني وان كنت لا ادين ببعض التفاصيل التي وردت في هذه النظرية ولا اسلم بكثير مما ذهبت اليه ، فانني سأتقمص صاحبها موقتاً وسأكونه الى حين ، ريثما يتم لي عرض النظرية عرضاً موجزاً واضحاً ومن وجهة نظر ابن رشد البحت ابسط فيها اهم النقاط البارزة دون ان اعرض لنقدها والتعليق عليها . يبدأ ابن رشد نظريته بالنظر في افكار الناس وتصوراتهم وما شاع في اوساطهم من المعاني والدلالات التي تلابس كلمة « فلسفة » فاذا به يرى العجب العجاب ، حيث كانوا يخلطون بين كلمة «فلسفة» وكلمة « كفر » اذ كانوا ينظرون الى الفلسفة نظرتهم الى اي شيء مخالف للشريعة الاسلامية ، بل الى انها من امعن الاشياء مخالفة لهذه الشريعة ، لانها تمس العقيدة وهي اساس الدين وجوهره وصلبه ، وكذلك كانت نظرتهم الى كل من يخوض في ابحاثها ويستهدف لسوء سمعتها ، وما اسرع ما كانوا يكفرونه ويزندقونه ويكيلون له الشتائم ويتزاحمون في خلع الالقاب الجهنمية عليه ، ويبذلون له كل ما يتسع التعبير الثائر الجموح من الحقد والتحامل والغيظ والتشفي .

وهذه الظاهرة ظاهرة التعسف والتحامل على كل ما يثور على المواضعات التقليدية ، ظاهرة طبيعية الى حد كبير على الا يبالغ فيها ، بل يكون اعتدالها في الامم دليلا على حضورها ويقظتها وتماسكها ، وبمقدار ما تتوسع في هذه النظرة الشاذة المتحكمة يكون ظهور الافكار الرجعية فيها ، وتكون ادنى الى التأخر والانحطاط ، وعلى العكس من هذا ، نرى انه بمقدار ما تضعف فيها هذه النظرة وتتخلخل ، يكون حظها من الميوعة والاسترخاء وعدم التماسك .

نظر ابن رشد في كل هذا وتأمله ، فاذا به متهم في ميوله الايمانية وعقائده الدينية الاساسية ، واذا بتهمة العطف على الفلسفة وعلوم الاوائل تسبقه الى كل مكان ، وتنشر حول اسمه جواً مكفهراً جامداً متصلباً ، حتى لقد كان موضع سخرية العوام وتثريبهم كأنما اتى امراً ادا .

اجل نظر ابن رشد في كل هذا فكان طبيعياً اذن ان يهب للدفاع عن نفسه اولاً وقبل كل شيء ، ويتخذ من دفاعه عن الصلة بين الحكمة والشريعة دفاعاً مقنعاً عن نفسه ضد الجماعات الثائرة ، وضد كل طعن قد يوجه الى ايمانه وكفاياته الاعتقادية ، وضد كل ضعف او فتور يتهم به في علاقته بالله ، وليحمي نفسه من كل اعتداء غاشم على حياته ، وبهذا الحل يصلح الموقف الذي يربطه بعصره ويزيل سوء التفاهم بينه وبين الناس ويصحح الافكار الشائعة عن الفلسفة ، ويعيد لها حقها الطبيعي في ان تدخل في تجارب الجيل الذي يعيش فيه ، ويشارك في بناء تراثه وحضارته ، ومهما يكن من جموح الجماعات واندفاعها فان هذا لا يغير شيئاً من طبيعة الظروف التي يجب ان تنتصر وتنصر معها من يتحد بها حتى تصل في النهاية الى تحقيق ذاتها واستكمال نضجها ، وهكذا ، فحالة ابن رشد النفسية ، وطريقة سير علاقته بمعاصريه ، وطبيعة الصلة التي تربطه بهم ، ووصول المجتمع الى درجة عالية من النضج ، كل اولئك ساعد على نجاح الظروف وتقدم تجربتها ، واستفراغها لجميع امكانياتها ، وبالتالي كان كسباً لمسألة التوفيق بين الحكمة والشريعة .

يذهب ابن رشد في تقرير نظريته الى القول بان معرفة الصنعة فرع من معرفة الصانع لانها تعود اليه ، وان معرفة الصانع واجبة بالشرع ، واذن فمعرفة الصنعة — وهي اشياء الكون والحياة — من حيث دلالتها على الصانع واجبة بالشرع ، والفلسفة لا تعدو ان تكون معرفة الصانع بصنعته ، وعلى هذا فدراسة الفلسفة واجبة على كل قادر عليها ، وكل من أوتي بسطة في العلم والفكر ، وتفصيل ذلك ان الغرض من الفلسفة هو النظر العقلي في الكون

للوصول الى معرفة صانعه ، وهو الله تعالى ، والاسلام يأمر على سبيل الوجوب بالتدبر والنظر والاعتبار ، وبالتالي يدعو الى ان يعرف الانسان ربه بالنظر في مخلوقاته والتفكير فيها ، اي الى ان يفلسف ، فالفلسفة ليست اكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من حيث دلالتها على الصانع ، ولهذا فانه كلما كانت المعرفة بها اتم ، كانت المعرفة بالصانع ادنى الى الكمال ، وامعن في غرض الشرع ، وكان الدين اكثر حثاً عليها ، والعكس صحيح كذلك ، فانه كلما كانت المعرفة بالصنعة اقل ، كانت المعرفة بالصانع اقل تبعاً لذلك ، فكان الانسان بهذا ادنى الى سخط الدين وامعن في البعد عن مقصد الشريعة ، ومعرفة الصانع هذه ، هي كل شيء . في العقيدة الاسلامية من جهة ، وفي الفلسفة اليونانية من جهة اخرى فهي اذن نقطة التقاء الدين بالفلسفة .

ويسوق ابن رشد لتأييد وجهة نظره هذه قوله تعالى : « فاعتبروا يا اولى الابصار » فهذه الآية تدعو الى اعتبار الموجودات بالعقل ، وتنص على وجوب استعمال القياس العقلي ، او العقلي والشرعي ، كما يستشهد على ذلك بهذه الآيات ايضاً « او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء » ، وقوله تعالى « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض » وقوله تعالى « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت » وقوله تعالى « ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً » الى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى وكلها نص صريح بالحث على النظر في جميع الموجودات .

ولما كان قد ثبت ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل في الموجودات ، ولما كان الاعتبار لا يعدو ان يكون استنباط المجهول من المعلوم - كما اراد ابن رشد ان يفهمه - (وهذا هو القياس) فيجب ان يكون نظرنا في الموجودات اذن عن طريق القياس العقلي ، وهذا النحو من النظر هو البرهان ، وهو خير انواع النظر واتمها ، واذا كان الشرع قد حث على معرفة الله وموجوداته بالبرهان ، فمن الضروري اذن معرفة انواع البرهان وشروطها ، وبماذا يخالف القياس البرهاني القياس الجدلي والقياس الخطابي والقياس المغالطي وكذلك معرفة اجزاء القياس اعني المقدمات وانواعها وطرق تكوينها . . فكل هذه الاشياء هي من النظر العقلي بمثابة الآلات من العمل اليدوي « وكما ان الفقيه يستنبط من الامر بالتفقه في الاحكام وجوب معرفة المقاييس الفقهية على انواعها ، فكذلك يجب على العارف ان يستنبط من الامر بالنظر في الموجودات وجوب معرفة القياس العقلي وانواعه ، لانه اذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى « فاعتبروا يا اولى الابصار » وجوب معرفة القياس الفقهي ؛ فاحرى بالعارف بالله ان يستنبط من ذلك وجوب معرفة القياس العقلي » .

ثم يستطرد فيلسوف قرطبة فيذهب الى ان الفلسفة لو لم تكن موجودة لأمر الشرع باصطناعها وخلقها ، لانها اداة فعله ووسيلة عمله ، ولكن بما ان فلاسفة اليونان قد سبقوا اليها ، فيجب اذن ان ننحو نحوهم ، فنبحث عنها في كتبهم ونلح في طلبها ، بوصفها شيئاً جوهرياً في الدين ومتمماً للنتائج التي وصل اليها وواسطة للتأثير والفعل لا غنى عنها ، على ان نتحوط في ذلك غاية التحوط فلا نقبل منها ومن ادلتها ، الا ما لا نشك بحاجتنا اليه ، والا ما نثق باهميته بالنسبة الى مشاكلنا الحاضرة مبرءاً من كل عيب او خلل ، مخافة ان يتسرب الى العقيدة ما يفسدها .

ولا يطعن في كفاية رجوعنا الى فلسفة الاوائل كونهم كفرة ملاحدة مشركين على غير ملة الاسلام ، فنتخذ من ذلك مبرراً لعدم الاسترشاد بآرائهم ، كلا ، بل يجب ان نرجع اليهم فيما قد سبقونا اليه ، بصرف النظر عما كانوا عليه في علاقتهم مع ربهم ؛ وكما ان الآلة التي تصح بها التزكية ليس يعتبر في صحة التزكية بها كونها لمشارك لنا في الملة او غير مشارك ، ما دامت شروط استخدامها متوفرة ، فكذلك وسائط البحث الفلسفي والمقاييس العقلية التي يجري عليها الفكر ، فكل هذه الاشياء التي هي من بضاعة القدامى يصح بها التفكير دون ان يعتبر في صحة هذا التفكير اشتراكها بين المسلمين وغير المسلمين .

ويخلص ابن رشد من هذا كله بان النظر في تراث الاوائل واجب بالشرع ، لاتفاق المقصد الذي يهدفون اليه مع المقصد الذي يحثنا عليه الشرع ، لذلك فان من يحرم النظر فيها على من هو اهل لهذا النظر « فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله ، وهو باب النظر المؤدي الى معرفته تعالى حق المعرفة وذلك غاية الجهل والبعد عن الله .

ثم يعود ابن رشد فيستدرك ان يكون لكل انسان الحق في النظر الفلسفي ، فهو لا يبيح هذا النظر لكل انسان ، بل يقصره على اهله ممن جمع بين ذكاء الفطرة والعدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية ، ولا يبيح للعوام مطلقاً ان يشتركوا في هذا النظر الذي لا يملكون شروطه واعداده ، ولا يعصمهم الزلل ومواد الزيغ والغواية ، ولذلك فاذا ما غوى غاوٍ من هؤلاء اوزل زال ، فهو

وحده المسؤول عن غوايته وزلله ، ولا يجوز ان يتخذ من هذه الغواية الفردية الخالصة تعلة ومدعاة لمنع هذا النظر عمن هو اهل له وارقى اعداداً وفطرة ، ولهذا نراه ينكر على الفقهاء قولهم بان من ينظر في كتب القدماء يضل ويكفر ويقول « فان هذا النحو من الضرر الداخل من قبلها هو شيء لحقهـا بالعرض لا بالذات ؛ وليس يجب مما كان نافعاً بطبـاعه وذاته ان يترك لمكان مضرة موجودة فيه بالعرض » بل نقول ان مثل من منع النظر في كتب الحكمة من هو اهل لها من اجل ان قوماً من ارذل الناس قد يظن بهم انهم ضلوا من قبل نظرهم فيها ، مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات لان قوماً شرقوا به فماتوا ، فان الموت من الماء بالشرق امر عارض ، بينما العطش ذاتي وضروري ثم يتوسع ابن رشد في تطبيق هذا المعنى فيقول « وهذا الذي عرض لهذه الصناعة هو شيء عارض لسائر الصنائع ، فكم من فقيه كان الفقه سبباً لقلة تورعه وخوضه في الدنيا ، بل اكثر الفقهاء هكذا نجدهم ، وصناعتهم انما تقتضي بالذات الفضيلة العملية ، فاذن لا يبعد ان يعرض في الصناعة التي تقتضي الفضيلة العلمية ما عرض في الصناعة التي تقتضي الفضيلة العملية » .

وعلى ضوء هذا فانه اذا مـا كان الدين نفسه يوجب دراسة الفلسفة ، فاذن لا يمكن ان يكون ثمة تعارض بين الدين والفلسفة « فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له » ونحن اذا رأينا تعارضاً ما بين النص الديني الذي قلنا وبين نتيجة البرهان الفلسفي الذي وصلنا اليه ، فانه يجب ان نحكم ان هذا التعارض لا يمكن ان يكون الا حسب الظاهر ، ولا بد ان هنالك وسيلة لازالته ، والذي يقدم هذه الوسيلة هو التفكير الديني .

وبلفت ابن رشد نظرنا الى حقيقة هـامة في غاية الخطورة ، وهي انه قبل ظهور التعارض بين الدين والفلسفة كان يقوم هذا التعارض نفسه في داخل الدين ذاته ، ولازالة هذا التعارض كان العلماء يلجأون الى التوفيق بين الآراء المتعارضة ، بان يميزوا في بعض النصوص بين المعاني الظاهرة المجازية وبين المعاني الباطنة الحقيقية او كان حل المشاكل التي من هذا القبيل يستند الى كشف المعنى الباطن للنص المتشابه ، وهذا هو التأويل ، فالتأويل اذن ، وبعبارة اخرى بين النصوص المتعارضة ، له سابقة في الاسلام ، وكان هو البداية الطبيعية الاولى لمذهب ابن رشد الذي لا بـدع فيه ولا ارتجال الى مدى كبير ، وانمـا هو استمرار منطقي لمذهب السلف وطريقة تفكيرهم التي اصطنعوها لانفسهم ، ونمو طبيعي للبذور الاولى التي نشأت منها العقيدة واشتقت منها على وجودها ، وتوكيد لطرائق القدماء في البحث والنظر .

ويرى ابن رشد ان التأويل يجب ان يكون خاصاً بالحكماء واهل النظر وحدهم ، وشدد في الاحتفاظ بسرية التأويل وعدم اشاعته بين العامة الذين لا ترقى مداركهم الى المقاصد العليا للشرع لذلك يجب ان يمتنعوا عن كل تأويل وتوفيق ولا يتعرضوا لمـا لا يفهمونه ، ان لا يخوضوا فيما يجاوز الامكانيات التي فطروا عليها ، والا صاروا الى الكفر والابتداع .

وهنـا يحمل ابن رشد على الذين سبقوه ويأخذ عليهم اذاعة التأويل ، وينعي عليهم هذا الاتجاه الذي جر على المسلمين الويلات والكوارث والخراب ، وانشأ الفرق والشيع التي اخذت تنال من الاسلام وتطعن في كفايته وسمو مبادئه .

ولا يزال ابن رشد يمضي في توكيد آرائه هذه في كتابه فصل المقال ومناقشة نظريته التي ذهب اليها ، حتى يعرض اخيراً للفلاسفة الاسلاميين كالفارابي وابن سينا وغيرهما ممن قطع الغزالي بتكفيرهم في كتابه « التهافت » في ثلاث مسائل هامة : في القول بقدم العالم ، وبانه تعالى لا يعلم الجزئيات ، وفي تأويل ما جاء في حشر الاجساد والمعاد ، فيرد على الغزالي بان الفلاسفة لا ينفون علم الله بالجزئيات اطلاقاً ، بل يقولون انه تعالى يعلم الجزئيات بعلم غير مجانس لعلمنا بها ، وذلك ان علمنا معلول المعلوم به ، فهو محدث بحدوثه ومتغير بتغيره ، وعلم الله بالوجود هو علة المعلوم الذي هو الموجود ، فكلا العلمين ، يتشابهان اذن في اسميهما ، ولكنهما يتغـايران وليسا كذلك من حيث المعنى والدلالة ، بل هما متعـارضان ، فمن شبه العلمين وحكم بتجانسهما ، ونظر اليهما وكأنما هما شيء واحد ، فقد امعن في الجهل ، وضل ضلالاً بعيداً ، واذن فاشتراكهما في اسم واحد لا يبرر اعتبارهما شيئاً واحداً يجب الايمان به والا فيكفر منكره .

وليس هذا فحسب ، بل هو يذهب الى ابعد من ذلك ، فيرى انه الى جانب ان الله لا يعلم الجزئيات على النحو الذي يعلمها به ، فانه كذلك لا يعلم الكليات كعلمنا بها ، ذلك ان الكليات المعلومة لنـا معلولة ايضاً عن طبيعة الموجود ، وعلم الله ليس كذلك ، ولذلك فانه تحكم لا مبرر له ان نذهب الى تكفير من يفرق بين علمنا وعلم الله وينزه علم الله عن الكلية والجزئية ، ولا معنى مطلقاً لتكفير من يذهب الى نفي العلم بالجزئيات عن الله تعالى .

ان المسألة الاولى وهي مسألة قدم العالم فلقد عرض لها ابن

رشد عرضاً ، مبتكراً افقدها شأنها الذي كان لها من قبل حيث قال : «واما مسألة قدم العالم اوحدوثه فان الاختلاف فيها عندي بين المتكلمين والاشعرية وبين الحكماء من المتقدمين يكاد يكون راجعاً للاختلاف في التسمية ، وبخاصة عند بعض القدماء » ومعنى هذا عنده ان الجانبين متفقان من حيث المبدا وان اختلفا في بعض التفاصيل ، وابو الوليد قد اثبت هذا بتصنيف الموجودات ثلاثة اصناف ، اتفق عليها القدماء والمتكلمون وهي طرفان وواسطة بين الطرفين ، فاتفقوا في تسمية الطرفين ، واختلفوا في الواسطة ؛ فاما الطرف الاول فهو موجود يشتق وجوده من شيء غيره ، والزمان متقدم عليه ، وهذه هي الاشياء التي ندركها بحواسنا ، وهي محدثة باتفاق القدامى والاشاعرة ، واما الطرف المقابل فعلى نقيض هذا تماماً ، وهو موجود لم يكن من شيء ، ولاصدر عن شيء ولا تقدمه زمان ، وهذا الوجود قديم باتفاق الجميع ولا يدرك الا بالبرهان وهو الله تعالى .

واما الوجود الواسطة بين هذين الطرفين الذي هو موضع الخلاف فهو موجود لم يكن من شيء ولا تقدمه زمان ، ولكنه موجود عن شيء ، عن فاعل ، وهذا العالم باسره منظور اليه ككل ، وهذه الصفات الثلاث متفق عليها بين الجميع ، فالمتكلمون يسلمون ان الزمان غير متقدم عليه ، كذلك هم يتفقون مع القدماء على ان الزمان المستقبل غير متناه ، و كذلك الوجود المستقبل وانما يختلفون في الزمان الماضي والوجود الماضي ، فالمتكلمون يرون انه قناة ، كما ان المستقبل الذي يقابله غير متناه ، فهذا الوجود الاخير اذن ، وهو الوجود الواسطة ، يشبه الوجود القديم الاول من وجه ، ويشبه الوجود المحدث الذي يقابله من وجه ، فمن نظر اليه باعتبار شبهه بالوجود القديم سماه قديماً ، ومن نظر اليه باعتبار شبهه بالوجود المحدث سماه محدثاً ، وليس هو في الحقيقه لا قديماً حقيقياً ، ولا محدثاً حقيقياً ، لان المحدث الحقيقي فاسد ضرورة ، والقديم الحقيقي ليس له علة ، وانما هو بين بين ، واذن فالمتكلمون من الاشعرية على حق حين يقولون ان العالم محدث ، والقدامى على حق حين يقولون ان العالم قديم ، واذن فلا خلاف حقيقي بين المتكلمين والحكماء بل لا يعدو هذا الخلاف ان يكون لفظياً لما قدمنا ، وبالتالي فلا مبرر لتكفير الفارابي وابن سينا وغيرهما من الفلاسفة ممن ذهب الغزالي الى تكفيرهم لقولهم بقدم العالم ..

وهكذا يرتجل ابن رشد تسوية جديدة لمسألة قدم العالم لم يسبقه اليها احد على الاطلاق ، سيكون لها بعده آثارها القوية في التفكير الاسلامي .

ثم ينتقل بعد ذلك الى التأويل وشروطه واحكامه ، وبين ان التأويل الذي يدعو اليه ليس تأويلا اعتباطياً لا ضابط له ولا وازع ، وانما هو يدعو الى تأويل منظم مبني على قواعد عامة يجب انتهاجها .

فهنالك نصوص في الشرع اصولية وهي لا تحتمل اي تأويل ، بل ان تأويلها كفر وخروج عن الملة كمن يعتقد الا سعادة في الآخرة ولا شقاء وان مقصد الشرع من هذه الاقوال « ان يسلم الناس بعضهم من بعض في ابدانهم وحواسهم ، وانها حيلة ، وانه لا غاية للانسان الا وجوده المحسوس فقط » .

كذلك هنالك نصوص ظاهرة يجب على اهل البرهان تأويلها ، وحملها على ظاهرها كفر بواح ، ومن هذا الصنف استواء الله على العرش وحديث نزوله تعالى من السماء .

وثمة نصوص اخرى متشابهة تتذبذب بين هذين الصنفين ، وفيها حظ من كل منهما ، فيلحقها قوم بالظاهر الذي لا يجوز تأويله ، ويلحقها آخرون بالباطن الذي لا يجوز حمله على الظاهر ، وذلك لصعوبة البت في هذا الصنف وعواصة الحكم عليه ، والمخطىء في هذا من العلماء معذور وغير مسؤول من خطئه ، وله اجر واحد ، ومن هذا الصنف صفات المعاد واحواله .

ويختم ابن رشد رسالة فصل المقال بكلمة موجزة تلخص كل وجهة نظره في التوفيق بين الحكمة والشريعة فيقول : ان الحكمة هي صاحبة الشريعة والاخت الرضيعة ، وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة .

وهكذا نرى فيلسوف قرطبة قد اثبت في هذه الرسالة تحرراً لا نظير له بين معاصريه وتوسعاً في مدى التعبير عن حاجة العصر الى نظرية التوفيق ، وخلف لنا مذهباً عقلياً مترابطاً متآزراً ، وخرج من ذلك كله الى ان البداهة والعقل والفلسفة اشياء اولية تكتفي بنفسها ، اما الدين فهو شيء ثانوي ، وهو لا يقصد الا الى العامة ، حيث يقدم اليهم الحقائق الفلسفية في رموز وصور وامثال لاتتأتى محاكاتها في وضوحها الخطابي وقوة تأثيرها ونفوذها الذي لا يقاوم ، على مشاعرهم واحساساتهم .

ومعنى هذا انه لا يجعل الفلسفة خاضعة للدين ولا بد منها في الحياة وبعد الممات وهي الحقيقة الخالدة .

القاهرة — محمد عبد الرحمن مرحبا

قلق

لالبير اديب

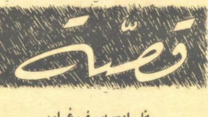
متعب انا يا اختاه
مسح جبيني المجدُ
واظلم عيني الضياء
. . . من قارورة النفس
وهبتُ امتي
كما يهب الحكماء
فانا ان اعطِ
تجمد الدمعةُ في أعين الكرماء
. . . ان قال قومي ما به ؟
وتساءلَ ، عفوكِ ، اليومَ الجهلاء
سيقول الروض غداً
موّت بنا يده السمحاء
فكان الربيعُ الذي ترى
وكانت النبتة الخضراء
. . . وينطق هذا الجبل الاصمّ :
من فؤاده ارتوت صخوري الصلداء
انا ان اخف
فلا خوف الظمأ ولا الكساء
عوّدتك يا اختاه كيف أشيح الطرف
حتى عن السماء
انا ان اخف
فمن عقوق امتي وجحود البلهاء
اخشى ، ما اخشاه غداً :
غلام يجيء بعدي
ان دعاه الواجبُ ، خطرتُ في رؤاه
فيحجم ويقول :
علمنا الجحود وربي
ان نكون البخلاء

الرجل الضاحك

☆

تسألني لماذا لا اكتب اليك ايها الصديق . ? وها انذا اكتب اليك كما تريد . ولكن ألست معي في انه من الظلم ان يشرك بعض الناس بعضاً آخر في آلامهم واحزانهم وما تنزف عيونهم من دموع . . ما ذنبك انت حتى تقتسم معي تلك الحفنة السوداء التي عفر بها الحظ قلبي واذراها في دنياي . ? ما ذنب قلبك حتى يتعفر بهذا السواد . . ? لماذا لا اختص به وحدي . . ? ولماذا لا احتمل مفرداً هذا العبء . ? اليس في هذا على الاقل ما يشبع غرور القدر ? اليس فيه ما يرضي كبرياءه . ? ثم اليس في تحملي وحدي هذا الشقاء الذي ارزح تحته ، ما يجعل القدر يفخر بانه فعل شيئاً ! ! ان القدر يا صديقي عمن احيانا في تعذيب بعض الناس، بدون ما سبب ولا لشيء ، الا ليثبت وجوده فقط . فهو لذلك يتخذ ضحيته رمزاً لقدرته ، والا فما تعذيبه لذلك الشحاذ الذي يبيت على الطوى . . ? مثلا .

اقول تسألني ايها الصديق لماذا لا اكتب اليك . ? وها انذا اكتب اليك كما تريد لاقول لك ان « زينات » قد ماتت . . ما اخف هذا اللفظ ، بل ما اسهل النطق به . . انه لا يكلف الشفاه غير ضجة واحدة ليستقر بعدها في الاذن . ولكن اتدري ماذا يفعل بالقلب . ?? اوه . . لا احب ان تدري . . واسال الله ان يجعلك دائماً تدري . انه سميع مجيب الدعاء .



بقلم امين يوسف غراب

ماتت زينات اثر ليلة كانت فيها كالزهرة ، ترف كالاقحوانة ، وتطر كالنحلة ، وتملأ البيت عطراً والحاناً . .

قدمت لي في تلك الليلة العشاء بيديها كالعادة ، ثم صنعت لي القهوة وجلست معي بجانب المدفأة تقرأ لي في كتاب كنت لما اتمه بعد — وكانت هذه عادتها اذا ما اجهد الاطلاع عيني — ومكثنا حيناً نستعرض « الايام » وما فعلته بفتى القرية الضرير ، وما ترك هو فيها من اثر ، وخلف فيها من احداث . حتى اشرفنا نحن في النهاية من الكتاب على تلك الربوة التي جاس عليها « الاعمى » يسكب في آذان الدهر انغامه .

فانصرفت زينات لتنام بعد ان هيأت لي غرفة المكتب لاحضر درس الغد الذي سألقيه على الطلاب في المعهد . ولكن اذا بزينات في مخدعها تناديني باسمي وكأن في النداء لحناً شاذاً . فقد كان الصوت غير منسجم : كما لو انقطع وتر من اوتار الكمان ، واختل اللحن . فاسرعت اليها ، وما ان تناولت يدها الناعمة حتى كانت ضحكات القدر تصطخب في المخدع ، وهي تودع آخر انفاسها اثر سكتة قلبية ، امهلتها لتناديني ، ولم تمهلها لتراني .

ايه ايها القدر . . اذا كان هذا هو العلقم فلماذا اذقتنا الشهد . ? واذا كانت هذه هي النار فلماذا ادخلتنا الجنة . ? لماذا قدرت لي الا اتم تعليمي في غير الجامعة وان اتعرف فيها على زينات ، واحبها وتحبني كل هذا الحب الذي جعلها تنصرف عن خطيبها وتتزوجني ، واخرج بها من الجامعة فخوراً بما ظفر به قلبي ، اكثر من فخري بما ظفر به عقلي من كسب وتحصيل . ? لماذا كتبت لي كل هذا في صفحة حياتي ، ثم عدت وطمسته مرة واحدة ، بزفرة عابرة منك . . زفرة قلبت الصفحة واحالت بياضها الناصع الى هذا السواد .

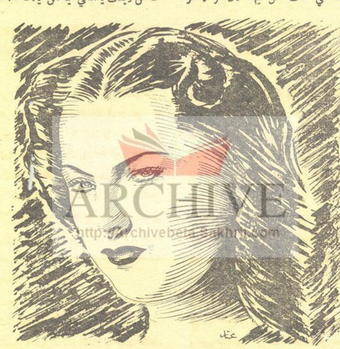
كنت احدث نفسي بذلك بعد فجيعتي بها ايها الصديق . وكنت اتناول رسمها الغالي المجلل بالسواد بين يدي ، فاتأمله ،

ولا اتركه الا بعد ان ارويه بدموعي التي ينزفها القلب .. آه ايها الصديق . لو ان حياة الانسان توهب فتعيد الحياة لانسان آخر . والله لما بخلت عليها بالوجود ، ولما ضننت على نفسي بالعدم . أليس في موتها موتي . فلماذا يموت احدنا فقط .؟ .

ومرت ايام الحداد وحاولت ان انسى ، ولكن أينسى القلب الشيء الذي احبه . ؟ لقد كان كل شيء يذكرني بها .. الدار التي غدت بعدها كالخميلة المهجورة .. والاماكن التي كنا نرتادها معاً .. ودور السينما وملاعب التمثيل .. حتى الترام الذي كان يقلني من البيت الى المدرسة التي كنت اعمل فيها . كان هو الآخر يذكرني بها . فكثيراً ماكنت انسى والتفت يميناً او شمالاً لأرى زينات ولما لا اجدها بجانبي كالعادة ، واتذكر انها قد ماتت ، تنهل الدموع من عيني . واغادر الترام عند اول محطة تقابلني ، خجلاً بالدموع التي تغمر وجهي والزفرات الحارة التي تحرق شفتي .

ولما لم احتمل كل هذا العناء الذي عشت فيه بعد زينات . قدمت طلباً الى وزارة المعارف وطلبت نقلي الى اية جهة اخرى . وكم سرني ان الوزارة اجابتني الى طلبي في الحال . ولكن هل استطعت ان اجد في البلاد التي طوفت بها شيئاً من السلوى .؟ او هل وجدت فيها ما انساني زينات ..؟ وهل انسى زينات ..؟ وهل ينسى القلب الشيء الذي احتواه .؟!! .

لقد كان رسمها هو توارتي وانجيلي واسمها هو قرآني الذي حفظته عن ظهر قلب . لقد كنت اجد في ترديد اسمها ، وترتيله بيني وبين نفسي شيئاً من اللذة الكبرى التي يستشعرها العابد عندما يكون في المحراب ممترجاً به . أليس في تقديس الذكرى تقديس للحب ..؟ والحب اليس هو نوعاً من العبادة التي نؤديها عن طريق القلب ؟ لقد عبدت زينات وهي حية . فلماذا لا اعبدها وهي ميتة ..؟ لماذا لا اتخذ من رسمها هذا المجلل بالسواد قبلة لي اؤدي امامها الصلاة .؟ لقد صليت لله امام هذا الرسم ثلاث سنوات وما زلت اصلي ، فهل تعبت جبهتي بكثرة الصلاة .؟. ايه يا رب شكرت لك هذا الفضل ، فضل قدرتي على الصلاة والعبادة ، ولكم تمنيت يا الهي لو مددت في عمري الف سنة كما مددت من قبل في عمر بعض الانبياء والرسل ، لاظل اعبدك الف عام في صورة هذا الرسم الذي يحمل احدى آياتك الكبرى .. الم تكن زينات يا الهي آية من آياتك .؟ .



ومضت بعد ذلك الايام ايها الصديق ، ورسا بي زورق الزمن بعد ستة اعوام في اسوان — ستة اعوام كان هذا عددها في عمر الزمن ، اما في عمري فكانت عشرات ، والا فلما ذ بكرت شيخوختي ، وخط الشيب رأسي ، وخارت قواي ، وضقت ذرعاً بكل شيء حتى بالطلاب الاعزاء الذين كنت اسهر الليالي في تحضير الدرس لهم .. حتى الطعام . الطعام الذي كنت اشتهيه والذي كان يعده لي خادمي الامين ، عافته نفسي هو الآخر ، واصبحت اقضي اليوم دون ان اتبلغ بشيء . فقد عافت نفسي كل شيء . وفقدت كل من لي . واصبحت وليس لي في الدنيا غير العصا التي اتوكأ عليها ، واستعين بها على حمل همومي واحزاني . وهكذا مكثت الى ان قيض الله لي ذلك اليوم الذي قلب فيه القدر الصفحة الاولى من كتاب حياتي . فقد رجعت يوماً الى البيت متعباً منهوكاً كالعادة فاذا بخادمي يخبرني بان فتاة تقول انها مدرسة تطلب مقابلتي وانها ستعود في السادسة مساء . فلم اهتم بالخبر

كعادتي في سنواتي الاخيرة . لانني لم اعد اهتم بشيء . وهل هناك بعد زينات ما يهتم به . ؟ غير انه في السادسة مساء وكنت منطوياً على نفسي في غرفتي مستغرقاً في مطالعة «رفائيل» للامرتين وكنت اقرأ هذا الكتاب للمرة العشرين . حتى انني حفظت بعض فصوله عن ظهر قلب . لانني وجدت شبه صلة بين محنتي ومحنة رفائيل البائس المسكين . وبينا انا مستغرق في الاطلاع اذا بي اسمع صوتاً نسائياً يحاور الخادم ، فأحسست فجأة بكياني يرتعش لمجرد سماعي هذا الصوت وقواي تخور فالتفت الى مصدره فاذا بي انظر مشدوهاً لا اصدق عيني التي ترى . لذلك تلمستها بيدي المتعبة عشرات المرات . وتلمست ايضاً يدي المقرورة التي سقط منها الكتاب فاذا بي حي لم امت ولكن من الذي اتى لي بزينات . ؟ من الذي اعادها الي . . ؟ وهممت بان اصرخ وان اناديها باسمها وان اقول لها . . زينات . . ها أنذا انتظرك . . ها أنذا اراك . ها انت قد عدت الي . بيد انها سبقتني الى التحية وقالت وهي تجلس في ادب جم واحترام كبير . .

— الم تعرفني يا سيدي . . ؟

ونظرت الى عينيها الزرقاوين اللتين اعرفهما كل المعرفة وشعرها الذهبي الهفهاف الذي رقت خصلاته وراحت تداعب الجبين ثم الى ثغرها الرقراق وكثيراً ما اعتصر قلبي منه الشهد المصفى . . نظرت الى كل ذلك فوجدته هو هو لم يتبدل . فانبسطت اساريري . وابتسم قلبي وانا اقول . .

— تشرفنا يا افندم .

فقالت ولكن بعد لحظات قضتها صامتة تنظر الي .

— انا منيرة بيومي . .

يا لله حتى النغم القدسي هو نفس النغم .

ومضت لحظات خفت فيها حدة اضطرابي . واستطعت ان استرد فيها بعض انفاسي ثم لما تمالكت قواي سألتها عما تريد . ؟ وكم كانت دهشتي عندما اخبرتني بانها منيرة بيومي ابنة بيومي ابو زيد الذي كان علافاً للماشية في دوار والدي عمدة القرية . والتي كانت تلعب معي ايام الطفولة في الدوار والجرن . ثم مات والدها فتكفل بها معاون بوليس المركز اذ ذاك وكانت شقيقتها الكبرى تشتغل خادماً في بيته . وهو الذى رباها . وبمساعدة شقيقتها استطاعت ان تدخل المدرسة الاولية في القرية ، ثم تواصل تعليمها بعد ذلك حتى تخرجت واصبحت الآن مدرسة ، وانها نقلت الى اسوان من عام واحد فقط ، بعد ان قضت كل تلك المدة في القاهرة .

قالت ذلك ثم صمتت فصمت انا ايضاً ، لكي اكتم ضحكات القلب الذي كاد يقفز فرحاً بالنعمة الكبرى التي انعم بها القدر علي . بيد انني ايها الصديق لم استطع ان اكتم الفرحة فطفرت الدموع من عيني ، وانا اشكر لها هذه الزيارة ، واقص عليها ، في طفولة ، قصتي انا الآخر وغلبتني الذكرى فبكيت . لهذا لم تطل جلستنا في تلك الليلة التي شوهتها الدموع فافترقنا بعد ان تواعدنا على اللقاء .

ولما التقينا في اليوم الثاني ، كانت منيرة مرتدية الثوب نفسه الذي رأيتها فيه ليلة الامس والذي زادها لونه الارجواني فتنة لم أرها في امرأة ، منذ ان ماتت زينات . لذلك رحت ، في طفولة ايضاً ، احدثها عنها وكيف ان القدر انتزعها عنوة من بين احضاني ، وخانتني عيناي فذرفت الدمع السخين وانا اقص عليها كيف انقطع الوتر ، وسكت الصوت ، وتعطل الكمان . واشتركت معي منيرة في الدموع وهي تحدثني عن فجيعتها بابيها الذي مات اثر فجيعتها بامها التي فقدتها وهي في المهد ، قلت ذلك ثم تناولت يدي المقرورة ودفنتها بين راحتيها وهي تقول باكية .

— انني انا ايضاً اشد منك تعاسة يا سيدي . لقد ماتت امي وانا طفلة ، وداست عجلات القطار ابي فلم نعثر له على اثر .

وجففت دموعاً لؤلؤية كانت تتألق فوق الخدين كما تتألق الماسة الثمينة تحت شعاع الشفق ثم قالت وهي تحاول أن ترد الى ثغرها بعض ابتساماته .

— قلت لك ذلك يا سيدي لتعلم ان القدر قد يعدل احياناً في توزيع المحن على الناس .

وهكذا ألّف الماضي الجريح بين قلبينا والحاضر الدامي بين نفسينا فاصبحنا لا نرى الا معاً ، ولا نقضي اوقات الفراغ الا معاً . انا بجانبها ارفه عنها ، واسكب في اذنيها كل ما قد ينسيها الماضي الأليم ، وينسيها حادث والدها الذي كلما تراءت جسده المتناثر غامت الدنيا في عينيها وهي ازائي تكفكف عبراتي ، وتعمل جاهدة على ان تنسيني فجيعتي بزينات ، والغريب انني نسيت الى حد ما ، أليست منيرة هي زينات . ؟

وفي احدى الليالي وكانت منيرة تحدثني عن قرب رحيلها ، وقرب فراقنا ايضاً . فقد صدر امر الوزارة بنقلها من اسوان الى القاهرة اقول في هذه الليلة بالذات . . اوه ايها الصديق لماذا سألتني ان اكتب اليك . . ؟ بل ولماذا اجبتك انا الى ما تريد . . ؟

في هذه الليلة بالذات وجدت من نفسي الشجاعة الكافية على

ان اصرح لمنيرة بذلك الشيء الذي اخفيته عنها حيناً . قلت لها في تلك الليلة الكلمة التي ارهقني طول احتباسها ، او بمعنى آخر ارهقتني نهايتها اذا جاءت الاجابة على غير ما اشتهي مددت لها يدي المرتعشة المقرورة وتناولت يدها وهممت بان اقول لها . ولكن غلبتني الدموع . فهرعت الى الصمت اتذرع به من المستقبل الذي اخشاه . ولكنها وهي الفتاة الطيبة القلب ربتت على كتفي وهي تستحلفني «بزينات» ان اقول ما اريد . فتشجعت وامسكت بيدها ثانية وقلت دون تريث حتى لا يعاودني الخوف فاصمت .

– ان شيخوختي المتعبة في حاجة اليك ايتها الفتاة .. ؟

ولكم كانت دهشتي عندما صمتت الفتاة حيناً . ثم حركت هدباً طويلاً كان مسترخياً ورفعته الى اعلى ، ونظرت الي مخضلة الطرف تقول .

– وثق ان قلبي اليتيم في حاجة اليك يا سيدي .

ثم نكست هدبها الطويل وعقبت .

– ولكن الا ترى بان التقاليد قد تحول بين السيد وخادمته .؟

– تلك تقاليد من لا قلوب لهم .

والمرة الاولى بعد سبع سنوات . بعد ان ماتت زينات شعرت شفتاي بالدفء . وقلبي بالحياة وانا اعانق منيرة واقبل يدها شاكراً لها هذا الفضل الذي اعاد الي دنياي . ورد الي حياتي .

ومضت بعد ذلك الايام ايها الصديق ، وانقضت ثلاثة اشهر ثلاثة اشهر فقط كانت كافية جداً لان تعيد الي كل ما فقدته في سبع سنوات . فقد تغير حالي . حتى شيخوختي نفسها تبدلت ، وعاد دم الشباب يتدفق حاراً ، ويصطخب في عروقي حتى غمر القلب وفاض عليه ورد اليه بسمته المشرقة التي تعيد الى الجسد فتوته وشبابه .. يا لله .. الى هذا الحد تستطيع يد المرأة ان تشفي جراح القلب ، وان بسمة واحدة من ثغرها الجميل تبدل النار نوراً .؟ ولكن لمَ لا ايها الصديق ، اليست المرأة نفسها هي التي تجرح القلب وتشعل النار .؟ فلماذا تضمد الجروح وتطفىء اللهيب ! !

كانت الشهور الثلاثة التي حدثتك عنها هي الزمان الذي استطعت فيه ان اهيء للبلبل عشه الجديد . وقد حرصت على ان اجعله رحباً فسيحاً ، ليتنقل البلبل بين ارجائه كما يريد ؛ ويرجع في جنباته العريضة اعذب الالحان ، وحرصت ايضاً على ان اجعل نظامه كما كانت تشتهي زينات . حتى الالوان ايها الصديق .. حتى ترتيب المقاعد في الصالون ، والبهو الكبير ، حتى الصور والتماثيل . حتى باقات الورد التي تستقبل الداخل وتعطر الدار .. حتى المائدة والمقعدين المتقابلين عليها .. حتى الجرامفون والسمفونيات التي انتقيتها معه كانت نفس سمفونيات شوبان وليست ، التي كان يلذ لي سماعها وزينات بجانبي .

حدث كل ذلك في ايام بمساعدة منيرة التي استقالت من وظيفتها وتفرغت لتنظيم عشها الجديد ، وحدث ذلك كله ايضاً في حرص وتكتم ، حتى لا يشعر احد بما يجري خشية ان تقف التقاليد فعلاً في وجهي ولا سيما وانا اعرف رجعية ابوي اللذين يعيشان في اغوار الريف ، ولما تهيأ كل شيء ولم يبق غير ان يعقد العقد وقد حدد يومه فعلاً وكان الثلاثاء اي بعد يومين اثنين فقط . وصلتني برقية من القرية تستعجلني الحضور فامي تحتضر فسافرت على عجل . وهناك وجدتها في النزع الاخير وان لا رجاء في شفائها ، وعلى انها فقدت النطق منذ امس الاول . ما كادت تحس بقدمي حتى طلبتني اليها . فجثوت امامها منتحباً ، ولما احست بدموعي افاقت من غشيتها وفتحت عينيها ثم تمتمت بعد جهد وهي تربت بيدها المرتعشة على كتفي .

– لكي اموت راضية يا بني ، عاهدني على انك ستتزوج . وكفى ما لاقيت في دنياك من احزان .

ورأيت انه من الظلم اخفاء سري عليها وهي في لحظاتها الاخيرة . واردت ان ادخل السرور على هذا الجسد المقرور الذي يرتعش رعشة من الخوف من المجهول . لذلك اندفعت الى يدها المبللة بعرق الموت امسح عليها بشفتي وازف اليها بشرى افراحي من منيرة التي انارت القلب وبددت غياهب ظلمته .

شيء واحد ايها الصديق .. اوه .. لك الله ايها الصديق . فانت الذي نكأت جراح القلب وجعلت دماءه تعود تتساقط ناراً تشوي الجسد . اقول شيئاً واحداً ايها الصديق هو الذي جعل النار تنقذف لهباً من عيني . تلك هي رجفة الام المحتضرة التي امتقع لونها فجأة وتفجر العرق البارد من وجهها الذي غمرته صفرة الموت وفاض على عينيها اللتين جحظتا جحوظاً مرعباً مخيفاً وهي تحدق في وتتمتم مهمهة بشفتيها المترهلتين .

– حاذر يا بني . انها اختك في الرضاع . انها اختك في الرضاع .

.. وهوى الجسد وتلاشى الصوت ، وتعالى الصراخ والعويل . صراخ الاهل على الام التي ماتت . وعويل الناس على الفجيعة التي حلّت . اما انا فلم اشترك في شيء من هذا فقد كنت بعيداً عن الناس . وكنت اضحك .. واضحك .. وما زلت اضحك ايها الصديق .. واضحك احياناً ملء شدقي .

القاهرة امين يوسف غراب

اسطورة شجرة

اعتراف الكرسي

فارس سعد

رآني أضفر الافواف في أعراس أيار
وأنسج خيمتي للطير فوق المنبع الجاري
فأوغر جسمي الريان نهمةَ فأسه الضاري
هو السفاح ، كم هصرت به أعمار اشجار
وشقت وشيها الاظلال فوق ذراعه العاري
يغار لكل شامخة   تراقص زند إعصار
وفوق يديه يرقصها   على عزفات منشار
كراعي الشاة يرأمها   ويسلمها لجزار

***

اهذا الرفق في الدنيا   عشاوة وجهها النابي ؟
اهذا الظرف تسبله   على الاظفار والناب ؟
يلوح بجبة الراعي   لعيني دوح قصاب
وكم في الغاب من جان   تنكر باسم حطاب
تخطى الشوك مقتحماً   خدور عرائس الغاب
فشق الستر عن كتفي   ومزق وشي جلبابي
واعمل فأسه حولي   بضرب هز أعصابي
والقاني مقطعة   بلا حلي وأثواب

***

وراح مخاطباً أمي   على فقدي يعزيها
عروسك ليس سكنى الغاب بعد اليوم تشقيها
فلا الشؤبوب يجلدها   ولا الالهوب يكويها
ولا فصل يحيك لها   ولا فصل يعريها
ولا سرب من الغربان يبني عشه فيها
ستشمخ عن طبيعتها   وتنسى بؤس ماضيها
وتحمل خير ما يجني من الامجاد جانيها
سلاح الجيش يحرسها   وعين الملك تحميها
وطير الخلد وهو الشعر في الدنيا يغنيها

وأسلمَ جسميَ العاري   الى ابداع نجار
يباري في صناعته   تأنق صنعة الباري
فقلت لعله مني   سيخلق عود قيثار
فأفشي كل آلامي   وأعلن كل أسراري
وتبقي لي عشياتي   كما كانت وأسحاري
يحوم الناس في ظلي   على تغريد أوتاري
فأشفي سقم ارواح   واشبع جوع افكار

***

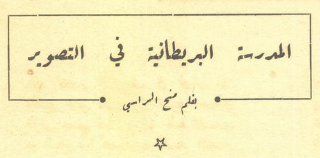
ويملأ صدره التاريخ من نفحات آثاري
وحين أفقت من حلمي   وعت بواقعي وهمي
رأيت الناس أفواهاً   تضج وأعيناً تهمي
تشير الي واجفة   بأيد تبتغي حطمي
وماذا صرت ؟ كرسياً   طغت في ندوة الحكم
على كتفي جبارٌ   يسوس الناس كالبهم
يسن الكيد احكاماً   ويطلق كيده باسمي
لحاك الله يا قطاع قد أوغلت في الاثم
أهذي آلة الالحان تغدو آلة الظلم ؟

***

وبت ، يزول جبار   ليخلفني لجبار
حملت البغي عاصبة   جبين العار بالغار
ودست الحق مجروحاً   يئن لطعنة الثار
صرعت الفكر وثاباً   يحاول هتك استاري
وحين نخرت شعلته   سقيت قبور اسراري
جنيت الاثم ، ما إثمي ؟   حملت العار ، ما عاري ؟
تلقح بالأذى عرقي   فجئت بغير اثماري
فليت الفأس اسلمني   غداة قطعت ، للنار



« بائعة القريدس » بريشة هوغارث ، وقد نهج المصوّر فيها اسلوباً طليقاً خالياً من التكلّف والعناء فجاءت آية في البلاغة ونابضة بالحياة



المدرسة البريطانية في التصوير

بقلم منح الراسي

☆

بما ان* موضوعي ينحصر في الفن التصويري فأنني المّح الماحاً سريعاً الى ماسبقه من الفنون في بريطانيا واهمها فن الهندسة الذي يمت بصلة وثيقة الى الموضوع الذي نحن بصدده . ولا يسعني اذ اتكلم عن الفن في بريطانيا ان اغفل جمال وعظمة كاتدرائياتها التي تحتوي على آيات في الفن ترجع الى ما قبل ولادة شيء يسمونه المدرسة البريطانية لان هذه الاخيرة لم تنشأ الا في القرن السابع عشر بينما تلك هي وليدة ما نقله الرومان والقوطيون الى بريطانيا قبل عصر النهضة . ولعلي في اشارتي اليها أنفي بعض مايعتقده الكثيرون بأن العقل الانكليزي لم يكن قادراً على الخلق والابداع قبل القرن السابع عشر . فهذه كاتدرائيات يورك ولنكولن ووستنمستر وغيرها تشهد بما كان للباني والصناعي البريطانيين من الدقة في التصميم والصنع ومن الروعة في الخيال ومن التحسس للجمال . تلك العقود والقباب الشاهقات والتماثيل الرائعة وشبابيك الزجاج الملون توحي في النفس احتراماً كلياً للفن البريطاني وان كان خاضعاً لتأثيرات اوربية ، واي حركة تقدمية لا تخضع لعوامل اجنبية وتتأثر بمدارس البلدان المجاورة ؟ .

واذا كانت قد خلت قرون ثلاثة بين بزوغ شمس الرناسانس وقيام المدرسة البريطانية فالاسباب هي في ذمة التاريخ وتعليلاتها هي من شأن المؤرخ ولا تدل على نقص في الطبع الانكليزي الذي كان قد ابرز مواهبه في نواحي عديدة من الشعر والادب . وليست سرعة التأثر الا دليلاً على يقظة امكانيات وقابليات كامنة تهب عند اول قبس من الاحتكاك مع العوامل الواعية . وما لجوء المصور الجرماني العظيم هانس هولباين الى بريطانيا يوم كانت اوروبا حقلاً خصباً لطالبي المجد الفني الا شاهد آخر على ان البيئة الانكليزية كانت مستعدة ان تستقبل فاتحاً اجنبياً اكراماً لفنه .

ذهب هولباين الى انكلترة في النصف الاول من القرن السادس عشر بدعوة من السر طوماس مور السياسي الخطير واتصل بالبلاط الملكي وخلد ذكر الملك هنري الثامن بلوحات هي اعظم من التيجان والعروش ووضع الحجر الاول في بناء مدرسة لم تثبت دعائمها الى ان جاء بول روبنز الفلمنكي بعد ثلاثين عاماً يحمل اوراق اعتماده سفيراً عن ملك اسبانيا فيليب الرابع ويحمل معه رسالة الفن التي لم تقل اهمية .

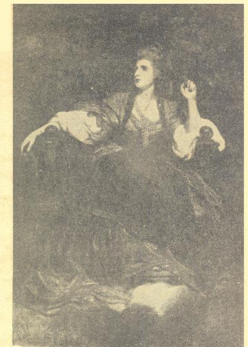
وحري بالذكر هنا ان السدود والحواجز الخانقة التي تقوم بين الدول في ايامنا هذه لم تكن موجودة في ذلك العصر فان روبنز الفلمنكي جاء الى اسبانيا بمهمة سياسية اوفده بها احد زعماء بريطانيا الدوك اوف بوكنهام ولما استقر به المقام انصرف الى فنه فكان تأثيره كبيراً على فالسكث الشاب الناهض وقد كسب ثقة وعطف الملك فيليب الرابع الذي اوفده ممثلاً له امام البلاط الانكليزي .

ولا نبالغ اذا وصفنا تلك الفترة بين الجيلين السابع عشر والثامن عشر بالعصر الذهبي في تاريخ الفن اذ انه بينما كانت ايطاليا لا تزال

* القيت هذه المحاضرة في الدرس الثامن من سلسلة تاريخ التصوير الزيتي الذي تعطيه اللجنة الفنية في النادي الثقافي العربي في بيروت .

تباهي بكواكب مثل كاناليتو وغـاردي وتيوبولو ، وبلاد الفلمنك باقطـاب مثل روبنز وتلميذه فانديك وتانيير وديقوس ، واسبانيا بعبقريين مثل فالسكث وموريللو ، وهولنده بجبابرة مثل رمبرانت وفرانس هالز وفرمير ، وفرنسا بنخبة بارزة مثل بوسان وشاردان وفاتو ، بدأت المدرسة البريطانية تترعرع على ايدي السر انطوني فانديك الفلمنكي ايضاً الذي جعله الملك تشارلز الاول مصور بلاطه فاسس مدرسة جديدة في تصوير الاشخاص حمل رايتها تلميذاه للي ونلر واورثاها بعدهما رينولدز ومعاصريه من اقطاب المدرسة الانكليزية في رسم الاشخاص .

●



الممثلة مسز سيدونس ، في دور ربة التأسي ، بريشة جوشوا رينولدز ، وهي في جلستها المسرحية واترائها والوانها البنية الحارة تنطق بحب المصور للعظمة وتمسكه بالنظريات التقليدية

●

مدرسة القرن الثامن عشر

بيد ان اول من صور الحياة البريطانية العامة فسمي عن حق مصور الامة هو وليم هوغارث الذي شق لنفسه طريقاً خاصة في التعبير وكان له الفضل الاكبر في تعميم الفن ليس في بريطانيا فحسب ، بل في جميع انحاء اوروبا . لانه لم يكتف بخلق الروائع لتعرض على جمهرة من ابناء بيئته ، بل ابتكر اسلوباً في حفر وطبع الصور لتصبح في متناول الجميع واما مكانته كمحترف فلن تقدر الاجيال ان تنتقص منها فانه تمكن لثقته بنفسه وشخصيته الفذة ان يعتزل التقليد ويحارب الرجعية فيضع اول حجر في بناء المدرسة الحديثة التي تتصل بيومنا الحاضر .

وكان من معاصري هوغارث ريتشارد ولسون الذي انار السبيل لترنر وكونستابل في تصوير المناظر الطبيعية بعد ان قضى بضع سنوات في ايطاليا وعاد الى وطنه ليبين للانكليز محاسن بلادهم وكان احد مؤسسي معهد الفنون الملكي (الرويال اكاديمي) الذي ترأسه لاول مرة الشاب العبقري السر جوشوا رينولدز .

لم تتوفر خصائص الخلق الانكليزي في أحد اكثر مما توفرت في شخص رينولدز الذي وقف حياته على رفع مستوى المدرسة البريطانية في القرن الثامن عشر فحاذى فانديك في اناقته برسم الشخصيات الارستوقراطية ، ولعل مكانته الاجتماعية هي السبب الاول في انتخابه رئيساً للمعهد الملكي . وكان رينولدز محاضراً قديراً يتمسك بنظريات كلاسيكية خاصة وجدت انصاراً كثيرين في انكلترا وأوروبا . بيد انه وجد من يعارضه فيها وينافسه مكانته الفنية واساليبه التقليدية في استعمال الريشة اذ جاء ذلك المزاحم العنيد طوماس كاينزبورو الذي ألف حلقة جديدة من الانصار ويقال انه ترامى شيء من الحسد الى قلب رينولدز فصار لا يترك سانحة الا غنمها للغمز من قناة زميله ، ويروى انه عندما انتقل كاينزبورو من مدينة باث الى لندن سأل رينولدز صديقه ريتشارد ولسون : « هل سمعت بأن اعظم رسام للمناظر الطبيعية قد



« الزواج العصري » لهوغارث وهي معروضة في متحف « تايت » في لندن ، احدى صوره الانتقادية يهاجم فيها مصير الزواج المبني على المكانة الاجتماعية والفقر من جهة والغنى والجهل من جهة ثانية . ونظهر في الرسم الكونتس التي تنتهي حياتها بمأساة وقد جلست تصلح هندامها بينما جلس الى الشمال احد الاغنياء والاغبياء يتناول قدحاً من القهوة ، وبالقرب منه مغن يعزف

الممثلة مسز سيدونس، في حياتها الخاصة ، بريشة كايتزبورو ، وقد عارض فيها رأي مزاحمه رينولدز الذي كان يشجب استعمال اللون الازرق ، فالبسها ثوباً ازرق يتناسب تناسباً شعرياً انيقاً مع الالوان الذهبية والبنية والحمراء والقبعة العامرة السوداء



المدرسة الانكليزية في ذلك العهد امتازت في رسم الاشخاص فلا يسعنا ان نمر بها دون ان نذكر احد اقطابها جورج رومني الذي اشتهر بلوحاته عن الفاتنة الانكليزية اماليون المعروفة باللايدي هملتون والمشهورة بعلاقاتها الغرامية مع بطل معركة جبل طارق اللورد نلسون . ومع كل ما يؤخذ على رومني من اخطاء في الرسم واسفاف في التكوين فقد كان بارعاً في التعبير عن سحر الانوثة ونضارة الشباب .

ولم يقم في مدرسة القرن الثامن عشر لتصوير الاشخاص، مع كل احترامنا لمكانة لورنس وهوبنر واوبي وسواهم حتى ورومني نفسه ، اعظم من السرهنري رابيرن الاسكتلندي الذي أسس مدرسة جديدة لهـا الشرف ان تكون قد انجبت خلفين فذين هما السر جايمس كثري والسر جورج ريد .

مدرسة القرن التاسع عشر

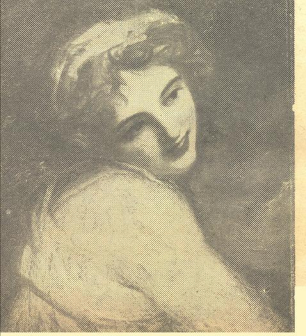
ولكنني اراني قد دخلت تدريجاً في القرن التاسع عشر ، هذا القرن الذي كثيراً ما يتهمونه بالجمود وهو واسم الحق عصر التحرر من القيود اذ تفتحت فيه العين على الرجعية وبدأت الاختراعات والصناعات والاتجاهات الفكرية الحديثة تشق آفاقاً جديدة ، وهكذا الفنون ، فان جوزيف ترنر هو اول من نزع عنه اصفاد التقليد مستعيناً بما كسبه من الخبرة على ايدي مصورين بالماء والزيت في انكلترة وفرنسـا وايطاليا ، ولم يتقيد الا بانطباعـاته الشخصية

جاء الى المدينة ؟ » فاجـابه ولسون : « اجل يا مسرجوشوا ، بل قل اعظم مصور اشخاص . » .

ولم يتوان كايتزبورو عن الرد على مفـاهيم رينولدز فأخذ يدحض نظرياته بكل وسيلة ومن ذلك ان الفنـان الاستقراطي حاول ان يثبت في محـاضراته بأن اللون الازرق لا يمكن استعماله بكمية كبيرة في لوحة واحدة، فلم يكتف كايتزبورو بالاشارة الى بعض لوحات رفاييل بل راح يصور رائعته « الصبي الازرق » وكذلك لوحته العظيمة « مسز سيدونس »، متخذاً موضوعه هذه المرة عن ذات الممثلة الشهيرة التي كان رينولدز قد صورها بالالوان الحمراء والبنية والذهبية الحارة .

قد نال كايتزبورو نجاحاً باهراً ما فتيء منافسه ان اقر له به وتصافى معه اذ زاره وهو على فراش الموت فقال كايتزبورو المحتضر : « سوف نلتقي في السماء وسيكون في زمرتنا فانديك . » ومشى رينولدز بين حاملي النعش ليدفن زميله العظيم في مدفن كنيسة كيو بحسب وصيته .

وعـاش رينولدز لترى المدرسة الانكليزية وخصوصاً في تصوير الاشخاص تحتل مكانتها السامية في عالم الفن عـلى ايدي فئة ناشئة منها رومني ورابيرن وهوبنر ولورنس وأوبي وكوبلي ووست ومورلند وترنر وان كان بعضهم لم يبرز مواهبه بعد الى حدها الاقصى . وبما ان



« الفتاة اماهارت » لرومني والتي عرفت فيما بعد باللايدي هاملتون وقد اتمها في عام ١٧٨٦ وهي معروضة في متحف (تايت) في لندن



« الام والولد » لرومني وقد اتمها عام ١٧٧٨ والجدير بالذكر ان «رومني» حسد في هذه اللوحة الرائعة عطف الام وحنانها على رضيعها وهي لوحة تنبض بالحياة وتضج بحنان الامومة مع التأمل البعيد في مستقبل الطفل

•

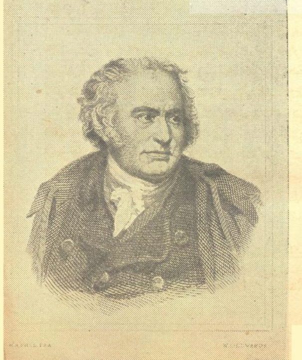
ولعل لوحاته هي التي اوحت الى التأثيريين (او الانطباعيين) النظرية القائلة بأن الاشياء ليست كما رآها الاولون بعين المنطق بل كما يراها المصور نفسه بعين الجمال . وقد كان ترنر يملأ ذاكرته من منظر غروب او جانب جبل يغمره الضباب فيصب تأثيراته على اللوحة بكل ما اوتي من خيال وقد قال عنه زميله كونستابل : « ان صور ترنر وان كانت رؤى جميلة ففيها من الفن ما يجعلها رفيقاً انيساً يستطيع الانسان ان يعيش معه حتى الموت .» وعاش ترنر عمراً مديداً انتج فيه الوفاً من الروائع وخلف ثروة طائلة وتوفي شبعان من الشهرة والمجد ودفن في كنيسة القديس بولس في لندن .

وقامت في ايام ترنر حركة موفقة اختصت بتصوير المناظر الطبيعية كثير منها بالتصوير المائي (اكواريل) وكان من اكبر دعاتها كيرتن و كوكس ودي‌ونت و كروم و كوتمان وبوننفتون ، ولكن الذى حمل مشعل الحركة الانعتاقية مع ترنر ، وان اختلف عنه اسلوباً ، فاعرب ببلاغة عن تمشق الطبع الانكليزي لجمال

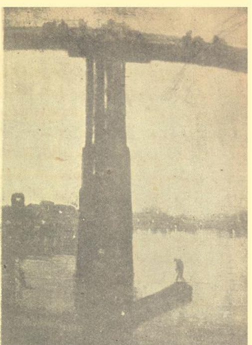
•

الطبيعة هو جون كونستابل الذي استحق كل ما اغدقه عليه الباريسيون من شرف اذ عرض لوحاته في باريز ، ويكفيه فخراً ان يقول عنه ديلاكروا زعيم الحركة الفنية الرومانطيقية : « هو أب مدرستنا في تصوير المناظر .» وقد كان كونستابل يعب من نبع الطبيعة فلا يجد حاجة للتنميق واستلهام الخيال والنسج على منوال هذا وذاك فجاءت لوحاته نماذج صادقة الريف الانكليزي تطفح نوراً وتهب فيها النسائم وتتألق قطرات الندى على الاوراق دون تكلف او اصطناع .

ولعل ناموس المد والجزر ، بالرغم عما يبدو فيه من مظاهر التقهقر ، هو من عوامل التقدم ، فلا تخلو اية حركة تحررية من رد فعل يكبحها عن الجموح وهكذا فان الثورة الفنية التي ذرت قرنها في سماء بريطانيا وفرنسا وجدت معارضة من فئة غير قليلة في البلدين ويقال ان حركة البريرافاياليتس (طريقة ما قبل رفائيل) بدأت كوجه من وجوه تلك المعارضة اذ قام رهط من المصورين الناشئين يزعم بأن الفن اذا كان يريد ان يتطهر من ادران الرجعية والتقليد فعليه ان يرجع الى ما قبل رفائيل وميكل انجلو ودافنشي ومن هناك يمشي مع الطبيعة يداً بيد، وهكذا اخذ هؤلاء المصورون يرسمون الاشياء بدقة فائقة متكلين على حدة في النظر وقوة في ملاحظة التفاصيل ومهارة في استعمال الريشة كما تشهد لوحات فورد مادوكس برون وهولمان هنط والسرجون ميلاي والشاعر دانتي



« الفنان رومني » بريشته ولد سنة ١٧٣٤ ومات سنة ١٨٠٢



« جسر باترسي » بريشة هويسلر ، وقد اثارت هذه الصورة انتقاد جون رسكن فقال ان المصور دجال يطالب مئتي ليرة لقاء قذفه بوعاء من الاصبغة في وجه العامة، وأدى هذا التحرش الى دعوى قضائية ربحها هويسلر معنويا وحكم له بما يساوي غرشاً لبنانياً كتعويض. والصورة بالوانها الزرقاء والذهبية وتركيبها البسيط تظهر تأثر هويسلر بالمدرسة اليابانية ، وقد اصاب المصور هدفه في التقاط فترة عابرة من المساء اذ بدأ جو المدينة البعيد يتوهج بالانوار وما زالت هذه الجهة من النهر هادئة غارقة في الاحلام

●

كابريال روزتي الذي كانت تحمله شاعريته على الخروج الى آفـاق اوسع فيهمل مبادىء مدرسته ليعبر عن فكرة او خيال .

وتبع هذه الحركة عهد فكتوريا الذي لعبت فيه العاطفة دوراً هاماً فلم يخل من ميعان وابتذال مع كل ما فيه من ابداع في التعبير . ومن ابطـال هذا العهد لاندسير واللورد لايتون والسر جايمس بونيتر والسر لورنس ألما تديما وذلك الجبار جورج فردريك واطس ، ولعل هذا الاخير بين معاصريه هو أقدر من ابرز الفكرة بالريشة فلا يسع الواقف امام لوحاته الضخمة كالامل والحب والحياة والعدل وسواها الا ان يتأثر بالمثل العليا التي كانت توحي للمصور مواضيعه

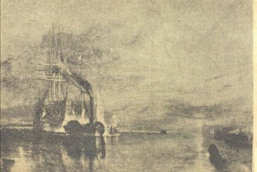
المدرسة الحديثة

ويخلو الفن البريطاني حيناً الا من محترفين يتزاحمون على نقطة النور فاذا بالستار يرتفع رويداً عن اجنبي كان يقضي اوقاته بين لندن وباريس فلا يلبث هذا ان يحتل المكان الاول من المسرح في عاصفة من صفير الاستنكار لانه حذا حذواً مستهجناً جلب على رأسه نقمة النقادين في انكلترة ومنهم جون رسكن فهاجموه بعنف وقد رفضت لوحاته من المعهد الملكي كما كانت قد رفضت قبلاً من صالون باريس فلم تجد صوره سوقاً بل قاسى من العوز اهوالاً قبل ان يفهم لرسالته معنى . ولكن فرنسا كانت هي الاسبق الى تقديره اذ اشترت الحكومة الفرنسية صورة « امه » ومنحته لقب فارس من جوقة الشرف . وهذا الفنان الغريب هو جايمس مكنيل هويسلر الذي غاب المصاعب بعد جهاد دام اربعين عاماً فخلف مدرسة عالمية وصارت انكلترة تفاخر بأن تعده من ابطال مدرستها . تأثر هويسلر بفنون الصين واليابان التصويرية وما فيها من بساطة في الزخرف وخلق الجو المنشود باقل ما يمكن من الالوان وتوزيع المساحات في اللوحة بحيث يأتي الفراغ طافحاً بالنور والهواء ويكسب صميم الموضوع اهمية وجمالاً .

وتشاء التقادير ان يحتل المسرح اميركي اخر عاش بين باريس ولندن فكان يمثل حلقة الاتصال الوثيقة بين البلدين في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وهذا المصور هو جون سنكر سارجنت الذي اقتبس كثيراً في فنه عن الطرق الانطباعية دون ان يخضع لها خضوعاً تاماً فجمع بين الافضل من تعاليم هذه المدرسة والافضل من مذاهب الفن الكلاسيكي ، ومع تعدد مواهبه في الاساليب والمواضيع فقد كسب شهرته كمصور اشخاص وضم نتاج ريشته السحرية في هذا الحقل الى نتاج المدارس الانكليزية .

وقد اسفر التفاعل القوي بين المدرستين الفرنسية والبريطانية في هذا العهد من تاريخ الفن عن نتائج باهرة فقد انجبت كلاهما ابطـالاً نقشوا اسماءهم في سفر الخلود ومن هؤلاء في بريطـانيا فرانك برانغوين والسر وليم أوربن واوغستوس جون وولسون ستير وغيرهم ممن تضيق هذه العجالة عن احصائهم . ولكن مدارس العالم اخذت تتوحد بفضل اسباب الاتصال الحديثة ووسائل النشر واصبحت مذاهب الفن لا تنحصر في بلد دون آخر وان تعددت في بلد واحد ومن هذه المذاهب الطريقة التأثرية والطريقة الرومانطيقية والطريقة الرمزية والطرق الاخرى المتطرفة . ولعل الحركة المعاصرة التي كثيراً ما

●



« السفينة الحربية تمارير » بريشة ترنر الذي يعد في طليعة المصورين التأثريين. والصورة تمثل السفينة بعد نضالها المجيد تجر عبر التيمس الى مقرها الاخير ومن سفه القدر ان يجرهـا الى مرساها مستنبط بخاري قبيح الشكل، مما يحرك مع منظر غروب الشمس عاطفة الاسف للمجد الآفل .

وجه من تراب

بقلم يوسف الشاروني

ومضت دهور ودهور، وأنا منطلق في الفيافي والقفار، أبحث وأرجو، وألج الزوايا والكهوف، وأمرّ بالبطاح والهضاب... حتى خلق البعد بيني وبينها رغبة وحنيناً الى اللقاء.

وكنت اعلم أن لقاءها اليوم قد غدا معجزة من المعجزات، لهذا تمنيت لو أنها مرّت من المنحنى القريب فألمحها لحظة واحدة ثم اعود الى سيري، هانئاً من جديد على وجهي.

وكنت أحسب ان هذا أيضاً معجزة من المعجزات، لذا تمنيت لو أنها مرت في غلالة من ضباب، بغير ان أرى عينيها المغرورقتين ولا ثغرها الهامس ولا يديها الصغيرتين الدافئتين، طالباً ان يكون هذا هو اللقاء الاخير.

وكان اخلاصي وايماني قد جعلاني آلف حدوث المعجزات في حياتي اليوم بعد اليوم... وكنتُ قد وصلتُ الآن الى غابة مظلمة وكثيفة جداً، لهذا عندما رأيتني اتجه نحوها كنت واثقاً انني سألقاها هناك حيث وحوش البرية وكل ما هو مفزع ورهيب.

وبدأت رحلتي في غابة الظلام، سائراً فوق الشوك، وضارباً في شعاب ضيقة ومنحنيات كريهة، واصوات وحوش تنبعث حواليّ من كل مكان... حتى وصلت الى نافورة تنحسر عنها الاشجار، وينسكب فيها قليل من شعاع الشمس. وهناك سمعت حفيفاً وصوت خطوات عرفتها في الحلم ذات يوم.

وفجأة سمعت صوتها كأنما يرتفع من هاوية ورائي وهو يصيح: هذه هي نافورة الدموع. اني آمرك أن تجلس عندها كي تشهد معجزة لقائي التي طالما تمنيتها. واعدك ان سيكون هذا هو اللقاء الاخير، اتذكر الشفتين اللتين همستا لك: احبك؟ والعينين اللتين اغرورقتا امامك في لحظة اخلاص، واليد التي ضغطت انت عليها في لحظة حنان؟ سترى المعجزة القاسية المريرة.

واحسست في صوتها رنة متوحشة لم اسمعها من قبل، كأنما كانت تعيش في هذا الغاب منذ اليوم الذي فيه افترقنا، وكأنما كانت ثمت رغبة للانتقام تدفعها الى نشدان لذة مرهقة عندما تراني ارقب الانسان الذي طالما عبدته دهراً يتشوه امامي الآن، حتى ولو كانت هي ذلك الانسان.

وتلفتّ حولي ابحث عنها، فما رأيت احداً، فصحت فزعاً: اين نحن الآن؟ فأجابت من اعماق الهاوية: نحن في العالم الاسطوري الآن، حيث تتجسد العواطف، وتستحيل الفجائع والاهوال الى صور واشباح، وحيث يجحظ رعب الواقع وفزع الارض. انني لم اعد احيا امامك في النور، واني لأحبك ان تراني وترى جبروتي في الظلام، وان تشهد بعينيك مملكتي وكل ما لي من سلطان اما رأيت الآكام والبطاح، وجبت المدن والامصار، وشهدت هذا الغاب؟ هذه جميعها مملكتي كلما اقبل الظلام. لهذا سينطفىء العالم الآن، وكل ما فيه من افراح واشواق، حتى يعم الظلام، وتنتشر الاوبئة والاوجاع واذ ذاك ستراني وستفزع...

وكأنما رفعت يديها تحجب بهما السماء. فلمحت الضوء يتساقط من كل جانب منها ثم سمعتها تصب لعنتها على الشمس والقمر والنجوم فانطفأت جميعها في الحال. واستحال كل شيء الى كتل وظلام.

وكان الحقد والكره وكل ما هو وضيع وحقير في النفس الانسانية قد اخذ يملأ الآن هذا العالم الاسطوري الرهيب، ويستحيل الى شياطين صغيرة تقفز هنا وهناك حتى تجمع منهم عدد غفير ينبعث من عيونهم الشرر، وتنطلق اللعنات من أفواههم، واياديهم وقرونهم طويلة وسمراء.

ثم سمعت صوتها المتوحش المنتقم

تعدو حدود الوعي والمنطق مدينة ببعض الاعتدال لفئة ناشئة في بريطانيا لها في شذوذها قواعد ومن هذه الفئة جاكوب ابشتين وهنري مور وبول ناش ودنكان غرانت وسذرلاند.

وقبل ان اختم هذه المقالة انتهز الفرصة للثناء عن التراث الفني الذي حملت المدرسة البريطانية لواءه في تصوير الاشخاص، ولا اغالي اذا قلت ان بين مصوري اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن الحاضر جماعة تستحق درساً خاصاً لما انتجته من روائع لا تقل في قيمتها الفنية عن اعمال رمبرانت وفالسكث وفانديك وان لم يكسبها التاريخ بعد قيمتها المادية. ولا يعلم الا الله ماذا سيأتي به المستقبل، فقد يصبح سرجنت واوربن واوغستوس جون في مصاف الخالدين وتصبح لوحاتهم كنوزاً لا تُقدر بالمال وآثاراً تنحني امامها الاجيال.

منح الراسي

المضطرب وقـد اخذ يرتفع من الهاوية ويدنو مني صائحاً : أما نظرت خلفك ؟ فالتفتّ الى الوراء حيث رأيت نهراً من النار ، كانت ألسنة اللهيب تندلع منه حتى ليسمع لهـا أزيز كالأنين . وكان يعج بأصوات زلازل وبراكين ، بينما تجمع على شاطئيه بضع مئات من هذه الشياطين المخيفة السمراء ، يدفعون من نهر اللعنة والنار آلاف الفتيات العريانات الحسناوات ، وهن يولولن ويزعقن ، ثم لا يلبث ان تلتهمهن ألسنة اللهيب ، فيتجعد لحمهن البض الطري ، وتذوب شعورهن الطويـلة العسجدية ، وتمتلىء عيونهن بجمرة مريضة ، وهن يندبن جمالهن وكبرياءهن ، وكل ما كن يملكن من غرور وسلطان ، حتى يستحلن الى تراب تذروه ألسنة اللهيب في العدم الكبير .

وأدرت وجهي حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس ، حين شاهدتها عريانة الى جانبي وهي واقفة تتأملني ، كان ينبعث من عينيها الشرر ، وكانت شفتاها تهدران باللعنات بينما يداها كانتـا طويلتين وسوداوين ، ووجهها معفراً بالتراب . ورغم ذلك كله فقد استطعت ان أعرفها . . : من خلال الدهور التي مضت ، من خلال اصوات الانتقام واللعنات عرفتها . عرفتها ولست اعرف كيف عرفتها ، رغم انها ما عادت تحن الى عالم الاضواء والنهار ، ورغم انها فخورة بعالمها المظلم الجديد . وكانت تلك هي احدى المعجزات المريرة التي عانيتها ومـا عرفت سرها حتى الآن : ان يظل الانسان يتعرف على معالم احبائه القدامى ، بعد ما غيّرتهم الدهور وشوهتهم الاحقاد ، ولو أنه ما تعرف عليهم لتفادى الألم والفزع .

وأمسكتـني وانا مذهول لا أكاد اصدق ، ثم قادتني الى ربوة مرتفعة قليلاً ، حيث استطعت ان ألمح قاع النهر وجحيمه المندلع في الظلام . وهناك تركتني وحدي ثم جعلت تخطو في ابتسام نحو اللهيب ، وأنا مشفق خائف ، أرقب كل خطوة من خطواتها وكل سكنة من سكناتها ، مدركاً أن حبي لم يعد يقنعها بالعدول ، وان وجودي اليوم الى جانبها ليدفعها في غرور نحو اللعنة واللهيب .

ورأيتها تسبح في اللهيب ، والابالسة على الشاطىء يصفقون ، وهي تهدر وتلعن كأنما هي حيوان متوحش يعاني آلاماً جبارة وشهدت بنفس جسدهـا البض الناعم يستحيل شيئاً فشيئاً الى سواد فاحم ، ورأيت بعيني – حتى فزعت وصرخت ولعنت – كيف تتهدل شفتاها وتغور عيناها وعظامها تتكشف وجسدها يتعفن وينحل . . . حتى أحسست مرارة في فمي ، فحاولت ان أبل طرف لساني مما كان يتفجر من نافورة الدموع ، حين وجدت لفح اللهيب قد جفف الدموع .

فخارت قواي ، وأحسست عيني كأنهما غارقتان تحت المياه ، فأصبحت ثمت غشاوة تفصل بيني وبين المرئيات من صور واضواء . ولمحت الالوان تجمعها العاصفة ثم تدفعها امامي الواحد بعد الآخر : الابيض فالوردي فالاحمر فالاصفر فالاسود فلون التراب ، وظلت الالوان تتدافع ، والاعاصير تهب واصوات العويل والبكاء تنبعث من قاع النهر الصاخب المتدفق ، وأشجـار الغابة تهوي وتئن ، ووحوشها تزعق وتصيح . .

وعندمـا عادت اليّ قواي ، كانت الالوان قد أخذت تنطفىء ، والذكريات تخبو ، والاصوات تخرس ، والاحاسيس تموت ، حتى شمل الوجودَ العدم .

وهكذا انتهت اللحظة الاسطورية ؛ بعدما غدت الغابة حطاماً وجثثاً وتراباً . ورأيت أمامي جثة عندما تفرست في وجهها عرفت صاحبتها ، لكنه كان قد استحال الى وجه من تراب .

ورفعت عيـني ، فرأيت في الغلس مدينة بعيدة ذات أبراج وقلاع . كانت القبور قد زحمت ضواحيها الغربية والشمالية والجنوبية ، بينما لم تنتثر القلاع والابراج الا في الجانب الشرقي ، حتى لكأن لكل حي هناك ثلاثة اموات او اربعة . وكانت قبور المدينة اكثر جمالاً وارتفـاعاً من منازلها . فعلمت ان تلك هي رقة الاحياء وبساطتهم : عندما يموت احبـاؤهم لا يريدون حبهم ان يموت ، فيصنعون لهـم هذه القبور الجميلة يعبدونهم حولها ، بينما في الداخل يستحيل احباؤهم الموتى الى نتن وعظـام . والويل لكل حي يزور قبور أحبائه في ليلة عاصفة ، فينهار امامه البنـاء الجميل الذي صنعه هو بيديه ، ويتكشف له القبر فجأة وفي قسوة عن النتن والعظام . . فيعود ، لكن وقد برىء من حبه المرهق المجنون . للاوهام والاموات .

فقمت انفض عني ما علق بي من غبار كي أواصل سيري من جديد ، بينما الشمس كانت قد ارتفعت من بعيد ، وهي تبسم من بين الغيوم الاخيرة للشتاء . ويممت وجهـي شطر الزحمة والضجيج ، حيث الناس ينتصرون وينكسرون ، وحيث ينبثق الكره من الحب بينهم ، كما ينبثق الموت من الحياة ، وحيث تمتد في نفوسهم مسالك رهيبة معتمة كلما استحال في ليلة شديدة القتام وجه من وجوههم الى تراب .

ولمحت الآكام والبطاح ، يمتد طريقي بينها ، ملآن بوجوه تستحيل الى تراب ، ومزدحماً بما هو افجع من الانكسار ، ثم بالانتصار إثر الانتصار .

القاهرة يوسف الشاروني

مع الأغصان

•

هنـاك .. هنـاك على الرابية ، على مقلة الزمن الغـافيهْ
على سندس من وشاح الهضاب ، رمته عـلى منكب زاهيه
على مقرب من حفافي الغدير ، وفي مسمع من جوى الساقيه
يذوب الحنين باحشائهـا ، فترسل اناتهـا وانيه
هنـاك .. على ظل هفهـافة من الدوح عطـافة حانيه
على نغمٍ من نشيد الطيور ، تردّد الحانه لاهيه
هنـاك التقى شاعرٌ مبدع ، يذيب الحنينَ عـلى القافيه

***

بغصنٍ من الخلد ، رفـافة معـاني الخلود ، على عطفهِ
سقاه الجمالُ طلا نبعة ، فمالت به الخمر ، من لطفه
تمايس ثمـلان ، في رقصـة ، يبث الغدير جوى لهفه
تعانقه النَسَمُ العابراتُ ، وترجع والشوق في عنفه
وبرّح بالطلّ تحنـانه ، فذاب عـلى الزهر ، من رجفه
.. ثوى الشاعر العبقريُّ الرؤى ، وقد اسفر الورد عن شفّه
تنازعه عاصفـاتُ الشبـاب ، ويرجعه الرشد عن قطفه ..
!

مكة — عبد العزيز الرفاعي

القبعــة

للويدجي بيرندلو   ترجمها عن الايطالية : مصطفى آل عيال

لويدجي برندلو Luigi Pirandello كاتب ايطالي عالمي الشهرة وحائز على جـائزة نوبل للآداب . كان مولده في جزيرة صقيلة سنة ١٨٦٧ وتوفي سنة ١٩٣٦ بعيد زيارته لاميركا . هو اعظم واشهر قصاصي الايطاليان على الاطلاق . وهو الشاعر المجلي في المأساة . ألف اكثر من ٥٠٠ اقصوصة وعدداً لا يستهان به من التمثيليات . توخى الصدق في اقاصيصه وصور الحقيقة العارية . وهو زعيم من زعمـاء التفكير التجريدي (metafisico) في رواياته ومآسيه

مؤلفاته زاخرة بالتضارب بين حقيقة الحياة المؤلمة وبين الاوهام والمظاهر والخداع التي يسمى اليها الانسان ويريدها ويتجلبب بها . هذا التضارب نراه ممثلاً غالباً في مشاهد عنيفة . تارة مريرة واخرى ذات مزاج مفجع. كل ذلك بنثر كالنقش عتيد وثاب عنيف قاس خفيف لين . انه يأنف من كل ما نسميه سحراً لغوياً وترويق كلام . فالعمل والفكر والتألم الوجداني تهم ابرندلو Pirandello اكثر مما تهمه العبارات ذات الطنين والرنين . فهو بعبقريته وبصيرته في الحياة والهامه القوي بلغ شكلاً فنياً مبتكراً خاصاً به لا يدانيه فيه احد .

امتازت مدينة «بادوفه Padova » بصنع قبعات لا مثيل لجودتها وطراوتها وشكلها الحسن . واشتهر في احدى مدن صقلية تاجر لبيع هذا الصنف من القبعات . وكان يدعى« دُن موركوتش لافاله Don Marcuccio La Vela » ما معناه بالحرف الواحد : السيد مريقس الشراع .

لم يكتسب السيد مريقس من تجارته هذه طوال سنوات عدة غير لقب : « تشرلنتشو Cirlincio » وهو اسم يطلقه الصقليون على طائر احمق . وكان متجره على شارع عام له اهميته الكبرى .

والسيد مريقس عالم بهذا اللقب الذي كان يؤذيه ويغيظه . وسدى حاول ان يكون خبيثاً وان يتظاهر بالبله ليسترد اسمه الحقيقي .

يبلغ الجدل اشده بينه وبين زبائنه المدينين له عندما ينادونه بهذا اللقب فكان يحمل عليهم حملة شعواء دافعها عاملان : الحنق من ذلك الاسم اللعين اولاً وحقه المهضوم ثانياً . وقد كثرت الديون التي له عندهم وضاق ذرعاً بهم . والمعركة تنتهي دوماً بخسارة فادحة يتكبدها صاحبنا مريقس انه رجل طيب القلب لا يتمالك من التأثر متى رأى زبائنه هؤلاء يتباكون ويتذللون له وحينئذ لا يسامحهم فقط بما له عليهم بل وينفحهم احياناً ببعض الدريهمات من جيبه ليصلحوا بها امر معيشتهم .

ولقد تأصلت في النـاس هذه الفكرة عن مريقس : « انه انسان لا يحق له البتة ان يتذمر من اي شيء . او ان يغضب من احد» .

ومما يجدر ذكره انه بينما كان الناس دائبين على غشه وخداعه، كان الله – وهذا ما لا يمكن تجاهله – يكلأه بعينه الساهرة ويسهل له مرافق الحياة . مما عوّض عليه ما خسره من معاملة الناس السيئة له . وهاك برهـاناً على ذلك : كان له امرأة خبيثة بايدة سقيمة مبذرة فأراحه الله منها وعجل عليهـا . كان له جيش من البنين والبنات ومع ذلك فقد توصل ان يعيلهم ويزوجهم جميعاً على احسن ما يرام . واليوم هو يعد هذا الجيش اللهام المؤلف من بنيه واصهاره وحفدته . . بالقبعات وذلك مجاناً . ولكن كان واثقاً كل الثقة بأنه متى افلس فلن يدعوه يموت جوعاً . اذاً أيطمع بأكثر واحسن من هذا ؟ .

وهكذا شرعت القبعات تتطاير من ذاك المتجر كأن لها اجنحة :



فأبناؤه واصهاره وحفدته واصدقاؤه ومعارفه كلهم كانوا يتقبعون من لدنه لقاء لا شيء . .

وظل زمناً طويلاً يركض وراء هذا وذاك كي يحصل على الاقل ولو على ثمن قبعة واحدة ولكنه حاول سدى وركض لذلك وتعب،

فأقسم بغلاظ الايمان بأن لن يدين مخلوقاً كائناً من كان: «حتى ولا الى احد القديسين ولو كان بحاجة الى قبعة .» ولكن واأسفاه . مع كل هذه الصرامة في العزم كان دائماً يقع في الفخ .

واخيراً صمم على ان يغلق متجره متى نفد هذا القليل الباقي عنده من البضاعة وانه لن يعطي ولو شبراً واحداً من الخيطان بدون ان يقبض ثمنه سلفاً .

حدث بعد ذلك ما لم يكن بالحسبان . لقد رأى في احد الايام صديقه « ليتسيو » الملقب بالديك ، مقبلاً نحوه . غير انه ما كان ليخشى على القبعات من هذا الصاحب . اجل انه ما جاء ليطلب منه قبعة بل شيئاً آخر . . كالعادة . . انه رجل مفلس ، اذاً هو بحاجة الى دراهم . وكان مديناً لمريقس بمبلغ لا يستهان به . اما الآن فكفى . انه لن يعطيه شروى نقير . ثم بادره بالكلام قبل ان يصل :

— ما هذه الريح الطيبة التي تسوقك الينا ايها الرفيق ؟ — .

كان للديك خلة شنعاء هو لا ينفك عن ملامسة شاربيه المتدليين فوق فمه كأنهما غصنا شجرة الصفصاف . عبوساً مجداً مطرقاً الى الارض وهو يقص خزعبلاته المدهشة واقاصيصه الملفقة . ومع كل هذا كان الناس جميعهم يحبونه لخفة روحه ومرحه . وما كان يحصل على ما يريده من الدراهم من مريقس وحده فقط بل كان يحتال ايضاً على ادهى واخبث تجار المدينة . وهكذا كان مديناً حتى قصبة انفه . هو في افلاس مزمن . وها هو اليوم يتقدم من صديقه مريقس بغير وجهه المعتاد كئيباً حزيناً متململاً .

— عدم يا صاحبي . صحتي عدم ، نفث هذه الكلمات نفثاً ثم تهالك على احد المقاعد .

— اشعر بالنصب الممض والتعب الشديد والاشمئزاز .

وبوجه تلوح عليه علامات التضجر والسآمة والتقزز تابع قائلاً ان روحه ملت عيش الشظف الذى يحياه بالتقطير والاستجداء . والالم الذي يشعر به من جراء تلك النظرات الصامتة التي يلهبه بها دائنوه كل ذلك يحطم له حياته تحطيماً . . وما كاد يصل من كلامه الى هذه الفقرة الاخيرة حتى اطرق مريقس برأسه وصوب بصره الى الارض وتنهد طويلاً .

— اجل اجل يا صديقي انت ايضاً تتنهد . ولا لوم عليك . انه لم يعد بوسعي الاقتراب من اي صديق كان . وسأفقدهم جميعاً رويداً رويداً . وان توجعي لاولئك — الذين يطالعك مرآهم بداعية التحسر والتألم — لهو اشد من توجعي وتألمي لنفسي . اوآه . اني اقسم لك لو لم يكن من اجل جكومينه زوجي ، لكنت الآن قتلت . . .

— ماذا . ماذا تقول . . . — قاطعه مريقس بسرعة .

— أو تعرف ايضاً ماذا يمنعني من ارتكاب مثل هذه الجريمة الشنعاء ؟ ذلكم العقار الذي حملته امرأتي لي كبائنة ومع انه مرهون عند عدة اشخاص ، فان لي الامل الوطيد يا رفيقي بان خلاصي سيكون بواسطة هذا العقار . ولقد قوي املي في هذا اليوم لما علمت بان الحكومة عازمة على ان تقوم بالبحث والتنقيب عن بعض الآثار التاريخية . ويقولون بان آثار الجالية الاغريقية القديمة مطمورة كلها في ارض هذا العقار . فاذا صح الخبر تنجاب السحب المتلبدة القاتمة وتنفرج الازمة ثم لا اعود فأسير على الارض سيراً بل سأمتطي متن الرياح . ايها الصديق العزيز . لقد فكرت بك وبما لك عليّ قبل اي مخلوق آخر في هذا البلد كله . ولقد ارسل اليوم الحاكم من يفهمني بأنه يريد مقابلتي والتحدث اليّ . اذاً عليّ أن اذهب لملاقاته غداً صباحاً ولكن . . . واحسرتاه . . . أنى لي الذهاب وكيف . .

— ولماذا ؟ سأله صديقه بدهش وتعجب .

— أبهذه الاسمال . اما تراني . وهل تسخر مني . ربما استطيع ان احل مسألة البزة . ان صهري وهو تقريباً يشبهني كل الشبه من حيث القامة والجسم قد ابتاع بزة جديدة منذ ايام ولن يرفض ان يعيرنيها . ولكن تبقى مسألة القبعة وكنت استعير قبعته ايضاً ولكن اللهم عفوك فان له رأساً لا كرأس الثور .

— . . آه . حتى انت يا ديك — صرخ مريقس محملقاً فيه .

— حتى انا . . . — ردد الديك هاتين الكلمتين بكل سذاجة .

— حتى أنا . . . اتظنني معتاداً على السير في الشوارع حاسر الرأس . انظر الى قبعتي هذه لقد أكل الدهر عليها وشرب ولا يمكن لي ابداً ومحال ان اتقبعها على تلكم البزة القشيبة الفضفاضة .

— وما شأني انا في ذلك . ولماذا أتيتني — سأله مريقس وقد انتفخت اوداجه واحمارّت عيناه من شدة الحنق والغيظ ثم اردف وقال : — عفوك يا صاحبي . كلا ثم كلا . لن اعطيك قبعة لا ولا بوسعي ان اعطيك ولو خيطاً واحداً منها .

— انا اريد ان ابتاعها منك ولن اقبل ان تعطيني او تهديني واحدة بل وسأدفع ثمنها ومضاعفاً .

— هل تحمل الدراهم في جيبك . — سآتي بها .

— اذاً من العبث . . . متى أتيتني بالدراهم اسلمك القبعة .

— هي المرة الاولى . . . والفت نظرك الى ذلك . هي المرة الاولى التي اقصدك واطلب منك قبعة . — قال له الديك بصوت هادىء حزين .

— ولكني اقسمت . هل تعرف ذلك . لقد اقسمت واقسمت .

— اجل . لا اجهل ذلك ولكن ألم اشرح الك الاسباب ولأية مناسبة سيكون استعمالها .

— في اذني وقر ولا اريد ان اسمع شيئاً . اني افضل ان اعطيك دراهم كافية لتشتري بها قبعة من متجر آخر .

— ابتسم الديك ابتسامة الرضا والطمأنينة وقال :

— يا صديقي يا عزيزي انك تعلم لو اعطيتني تلكم الدراهم لأكلت بها وشربت ولن اشتري قبعة . اذاً فالاوفق ان تعطيني من عندك واحدة .

— اذاً لن اعطيك الدراهم ولا القبعة — ختم مريقس قائلًا بقسوة، فاستوى الديك حينئذ واقفاً ثم تنهد طويلًا وقال :

— حسناً الحق معك . سأفتش عن مخرج لي من هـذا المأزق المكتنفني ولا ارى غير الموت مخرجاً . أجل الموت الموت .

— الموت . . . — رددها مريقس برعب : — وهل ثَم داع الى الموت . ما الفائدة من القبعة ما دمت سترفعها في حضرة الحاكم وتبقى حاسر الرأس .

— يا سلام . يا سلام سلّم . ما اجمله منظراً وانا اسير في الشارع بحلة جديدة لا عيب فيها وقبعة بالية حوت كل المعايب . هذه معاذير واهية يا صاحبي قل لي بصراحة انك لا تريد ان تعطينيها والسلام . وتحرك نحو الباب وهمّ بالخروج . حينئذ ندم مريقس كعادته على ما اظهر من الجفاء والغلظة واسرع يستبقه الى الباب فامسكه من ذراعه وهمس له في اذنه :

— انني احدد لك ثلاثة ايام للدفع . ولا تبح لاحد بهذا . بعد ثلاثة ايام . . . انتبه جيداً . ثلاثة ايام . ان باستطاعتي ان انتزعها من فوق رأسك وانت تسير في الطريـق . انا خنزير ابن خنزير اذا قصدت واردت . . .

ثم فتح درجاً واخرج منه قبعة « بادوفية » جميلة . جربهـا الديك فجاءت على احسن ما يرام .

— ما اجملها — قال هازاً رأسه : — سأحفظ لك هذه اليد البيضاء يا اعز الاصدقاء .

ثم ودعه وانصرف .

***

كل شيء كان محتمل الوقوع غير امر واحد ما كان ليخطر على بال تشرلنتشو Cirlincio او يشغل تفكيره . ألا وهو موت الديك ، لقد توفي الديك ليومين من استلامه القبعة . وهنا اخذ تشرلنتشو يتصور اجتماعه الاخير بالديك ويشعر بوخز الضمير لانه لم يعامله معاملة الصديق للصديق فطفق يبكي ويبكي بكاء مراً ويتأوه .

ثم اسرع الخطى الى بيت الفقيد الغالي ليعزي ارملته المسكينة السيدة جاكومينه .

وكان بعض الناس يستوقفونه في الطريق وكأنهم يتلذذون وهم يقولون له :

— الم تدر بان ليتسيو كاو مات .

وهو يجيبهم والعبرات تخنقه : — ألا ترون دموعي المنهمرة .

لم يبق احد الا وترحم على الديك ومدحه وتأسف على هذه النهاية المحزنة قبل الاوان . ومع كل توجعهم هذا كانوا يضحكون بصمت كلما تذكروا بعض نكته او خزعبلاته . ولقد اسقط عنه دائنوه حقوقهم متنهدين من اعماق صدورهم .

دخل مريقس الدار فوجد السيدة جاكومينه قد بلغ الحزن منها مبلغه ولا سبيل الى تعزيتها . ورأى اربعة مشاعل تتقد على زوايا السرير الاربع وقد مُدّد عليه صديقه وسجي باطمار بالية . وقصت عليه جاكومينه وهي تبكي وتشهق بريقها كيف كانت الوفاة : — لقد خاتله الموت وخانه ثم صرعه . — فبكى مريقس ولوح برأسه طويلًا وقص على الارملة تفاصيل الزيارة الاخيرة .

— اجل اعرف ذلك جيداً — قالت له جاكومينه : — اواه ! كم كان ليتسيو (Lizio) متألماً منكم . ان كلماتكم ايها الصديق اخترقت قلبه كالسهم الحاد .

فاشتد بكاء مريقس وهطلت دموعه غزيرة .

— ان عيني تقطر دماً عليه — قالت جاكومينه : — لا سيما والآن سأراه على محمل الفقراء مسجى بخرق ممزقة واحسرتاه . رحمة الله عليك يا عزيزي ياليتسيو . — .

كاد مريقس ينفجر من شدة ما ألمّ به من التأثر فاندفع بحماس صادق وعرض على الارملة ما تحتاجه من المصـاريف للقيام بحفلة جناز باهرة . فشكرته جاكومينه ورفضت واعلمته بامنية الفقيد الاخيرة وبأن عليها احترامها . لقد اوصاهـا بعدم الخروج وراء نعشه وعين كنيسة نائية حقيرة خارج البـلد حيث يريد ان يقضي فيها ليلته الاخيرة وهو ميت .

ألح عليها تشرلنتشو فيما اراد وامـام اصرارها لم يسعه غير الاذعان لارادتها . وقبل ان يستأذنها بالخروج قال لها : — اعلمي

ان سكان المدينة كلهم سيرافقون نعشه رغم ارادته – وهكذا كان .

***

بينما كان الجناز يسير في طريقه الى الكنيسة وقد آذنت الشمس بالمغيب كان مريقس يسير تماماً وراء النعش المكشوف وقد حمله اربعة من الحمالين ، وغشيت عينيه الدموع وحدقتا بتلك القبعة الجديدة التي كانت تتهادى يميناً وشمالاً كلما اهتز الجثمان . جرب تشرلنتشو بان يحول انظاره عنها خوف الرقيب ولكن سرعان ما كان يرتد بصره اليها . اراد ان ينصح لاحد الحمالين برفع الغطاء الى ما فوق رأس الميت ويدس القبعة تحته لتمتنع من التأرجح .

« ولكن . . ولماذا الفت انا نفسي انظار الناس الى ذلك . ألكي يمعنوا في السخرية مني . يكفي انهم يروني هنا معهم ليتغامزوا علي ويتهامسوا وينظروا الى القبعة ويفكروا بي ويضحكوا مني خفية . لا لا لن افعل . » .

وما كاد هذا الريب يتمكن منه حتى نظر شزراً الى الذين بجانبه وهو على يقين بانه يقرأ في اعينهم تلكم السخرية التي كان يخشاها والتي جـالت في خلده . ثم عاد واختلس نظرة الى القبعة وهمس في اذن نفسه متأسفاً : « ما اجملها ومـا انعمها والآن واضيعتها . ان مصيرها اما على رأس احد اولئك الحمالين القذرين او تحت التراب . اما الصديق الغالي فانه لم يعد بوسعه ان ينتفع بها . »

وهكذا اخذ يفكر ويطيل التفكر في مصير تلك القبعة بدون ان يعلم كيف كان ذلك . اخذ يفكر بطريقة للحصول عليهـا ثانية . . رمى من بجانبه بنظرات لاهبة ورأى بأن الكل الآن يرافقون بانظارهم حركة تلكم القبعة المشؤومة التي كانت شغله الشاغل وصليبه المؤلم . وبلغ به هوسه انه اخذ يأول رنة وقع اقدام الحمـالين فيلوح له بان اهتزاز القبعة ذاك الاهتزاز المنسجم يصرخ عالياً ما معناه :

« لقد خُدع لقد خدع » .

كلا ثم كلا . مهما كلفه الامر سيمضي هذه الليلة في الكنيسة ليسترجع قبعته مـا دامت هي له وملكه . هي لا تزال جديدة براقة ملساء وسيضعها ثانية في الدرج كما لو انها لم تخرج منه .

وحرصه هذا الشديد على استرداد القبعة لم يكن طمعاً منه بها ولكن لانه اقسم ان لا يدين احداً فيجب الا يذهب يمينه ادراج الرياح .

وهكذا ما كاد يصل الجناز الى الكنيسة حتى هيأ الكاهن الوحيد فيها الالواح لوضع الجثمان عليها . وبينما كان الناس يصغون الى الصلاة الاخيرة عن روح الفقيد المسكين اندس تشرلنتشو وراء احدى الاسطوانات وكتم انفاسه .

لما خلت الكنيسة من الناس قـام الشماس الهرم وقد احنى الكبر ظهره وبيده مصباح ضئيل النور واحكم غلق البـاب من الداخل . ثم ذهب ليأتي بزيت يقيء به احد المشاعل امام المذبح . وكان لوقع خطى الشماس في ذاك الجو السـاكن الرهيب طنين بطيء طويل مخيف .

احس مريقس بوحشة المكـان والسكون المفزع . احس كأن روحه تخرج من صدره وانه يكاد يختنق وهمّ بان يستعطف الشماس ليفتح له ويدعه يذهب الى سبيله ولكنه تجالد وتصبر حينما فكر بالقبعة .

وبعد ان وقى الشماس القنديل زيتاً تقدم من الميت بتؤدة وانحنى فوقه كأنه يريد تقبيله ثم اجال بصره فيما حوله دون قصد مستطلعاً وقبل ان يهم بالرجوع الى حجرته التي كان ينام فيها مد يده المرتعشة نحو الميت وبرأسي سبابته وابهامه انتزع القبعة ووضعها على رأسه قافلاً الى غرفته .

لم يره مريقس ولم ينتبه الى حركته وعندمـا سمعه يغلق عليه باب حجرته لاح له بان الكنيسة كلها تهبط في فضاء لامتناه . ثم اخذ يتحسس طريقه في الظلمة عـلى بصيص ذاك القنديل المتقد امام المذبح .

واستمرت عيناه تتبينان الاشياء التي كانت تحيط به حين خرج من مكمنه على رأسي قدميه ممسكاً عن التنفس جهد طاقته .

وفي الوقت نفسه كان يختبيء اثنان آخران ايضاً لغايته بالذات فتقدما رويداً رويداً منحني الظهر مثله وقد مدا ايديهما امامهما نحو الجثمان وكل منهما يجهل وجود الآخر . وبغتة دوت ثـلاثة اصوات ملؤها الرعب والجزع في عتمة تلك الكنيسة فكان لها صدى واي صدى .

لقد ظن ليتسيوكاو بأنه وحده الآن فاستوى جالساً لاعناً شاتماً الشماس بعد ان تحسس بيده رأسه ولم يجد القبعة . لقد رآه اولئك الثلاثة يجلس فصرخوا خوفاً وصرخ هو ايضاً من شدة الرعب وصاح .

– من هنا ؟ . . .

ثم بحركة آلية طبيعية تمدد ثانية على الالواح شاداً الغطاء الى ما فوق رأسه .

– صديقي . . . – تمتم مريقس بصوت خـافت يختنق من الحزن والخوف .

— من انت . . . اهذا انت يا تشرلنشو . كم عددكم هنا . اني سمعت اكثر من صوت . تباً لك من بليد فسل .

نفث هذه الكلمات وقذف بالغطاء بعيداً عنه واستوى قائماً وترجل وقال :

— من اجل قبعة لا تساوي درهماً مزيفاً تقدمون على كل هذا . كم عددكم . ثلاثة اربعة . وانت ايضاً معهم ايها الصديق . — ولكن . . . انا . . . كيف . . . — قال مريقس متلعثماً متسائلاً وهو يكاد يغمى عليه من الفرق :

— الم تمت . . .

— الم امت . وددت ذلك وتمنيت الف مرة الموت على ان ارى عملكم هذا الدني. الشحيح . — صرخ الديك ساخطاً حانقاً . ثم اردف صائحاً :

— كيف . ألا تستحي؟ ألا تخجل اتأتي الى هـذا المكان المقدس لسلب ميت لا يستطيع الدفاع عن نفسه كما فعل ذاك الشماس السارق . إهنأ الآن وليفرح قلبك . لم اعد املكها لقد سبقك واخذها مع اني وعدت بها احد الحمالين قبيل وفاتي . . . حتى ولو مات الانسان في هذا العصر لا يسلم الى راحة ولا سيما في هذا البلد . ولما مت كنت آمل بان اتخلص من ديوني . . . ولكن . . . هاهاها . . . يا للسخرية . كم عددكم الآن . ثلاثة اربعة عشرة . عشرون . هل تقوون على حمل السر وكتمانه . كلا . اذاً لنختم هذه المهزلة ودونكم السنار .

ثم تركهم جامدين مسمرين في مكانهم كأنهم الانصاب من الذعر والدهش وقصد باب حجرة الشماس يشبعه لكماً وكدماً صائحاً باعلى صوته :

— ايها الشماس الوقح .

اسرع هذا الى الباب ليفتحه وهو بقميص النوم والمصباح بيده وقد تقلصت اسارير وجهه .

امسكه الديك من تلابيبه وزعق به :

ردّ اليّ القبعة ايها اللص القذر .

— سيدي ليتسيو . . . — صرخ الشماس متضرعاً وكاد يسقط على الارض جثة هامدة لهول ما اعتراه من الرعب .

رفعه الديك واخذ يهزه هزاً عنيفاً كما تهز الشجرة ليتساقط ثمرها :

— اريد القبعة ايها النذل . . . ثم افتح لي الباب فلا اريد بعد الآن اكون في عداد الاموات .

مصطفى آل عيال

نــدى

ضحكة طافية على موجة نور ، هشة من كوكب دري فرح ، مرآة روحي ، زهو ماضي في ملامحها :

في عينيها حلاوة الدنيا الصافية ، لما تتكلم ، غير ان كل شيء فيها يزغرد ويغني ، خطوها زقزقة بلبل ، حركتها فرحة قلب ، وفي اغفاءتها غنج ملاك ، ودل حورية لمت في اسبال جفنيها كل ما في الفردوس من سحر ورواء .

شعرها الاشقر الناعم ، عطر تجمد في نور ، ونور سبح في هواء ، وهواء ترحاق على قرنفل مشرق .

لا يرضيها ان تنام في غير سرير « البابا » واذا أفاقت يفيق معها كل ما في الوجود من عبث ولهو لا هوادة فيه .

هذه إصبعها الصغيرة تتحسس كل ما في وجهي ، تمتد الى فمي ، عيني ، اذني ، أنفي واخيراً تركب صدري فأحس ساقيها الناعمتين على خدي وتشد في شعري شدة كأنني في ارجوحة من زنبق ، أجري في بحر القمر .

هذا وجهها بانفاسها اللطيفة ، بريقها اللاهث عـلى وجهي ، ضحكتها السارية من خيشومها بخبث ، خصلها المتهدلة على عيني وأنفي ، ويدها البرعم عـلى خدي :

آه يا ندى ، يا بنيتي الحلوة ، أنا سكران برحيق ، خدر بنشيد في بهجة الفردوس بك يا ندى :

عندما تلعب مع أخيها فقد امتلأ البيت جنوناً ، وانتفض كل ما في الخزانة من ثياب مكوية مطوية وما على الكنبات من ملاءات ممهدة ، وما على السرر من اغطية وملاحف ، وصار أرضاً ، صار حصاناً تركبه وراء أخيها ، او يجر في طول المنزل وعرضه ، فماذا ترى ؟ .

هي دنيا الصغار ، سلمت هذه الدنيا فوضاها احلى من النظام ، وضجتها انقى من الهدوء ، وصياحها وخصامها الف مرة اعذب من السلام .

فيا لقلبي ، قل لهذه الساق اللطيفة واليد الناعمة ، والعينين المشعتين ، قل لفضل وندى الارض من تحتكما تُضم ولكن بالجفون والجوانح ، وهذان الجسدان المرتويان بالطفولة — يا ولدي — يُشربان محبة :

أنتما يا ولدي شوق وبراءة ونضرة ، في جسدين من سوسن اذيب في عصير الورد ، وغمس في جبهة الشمس فكان فضلاً وندى .

درعا — سوريا

علي محمد شلي

الــزورق التــائــه

هدأ البحر — يا زورق — واستراح المجذاف
ووراء لهب الشفق ألمح عين عرّاف
غمزها همس ، وهمسها ألغاز :
هيا ! !

***

يا قبضة القدر المبسوطة عليها ازاق
يا بسمة الكبر المكبوتة ظلها الامواج
يا نواة البقاء يلفها زبد الاثباج
يا بحر : حنانيك :
مهج لي خلفتها تدب عند قدميك
وكوخ ، على الشط ، بائس ، رانٍ اليك

***

كلما شعّ في دنياي أمل
صاده النحس وغالته الرزايا
وكلما أمّ كوخي رجاء
بعثرته الليالي البغايا
هدأ البحر — يا زورق — واستراح المجذاف
ووراء لهب الشفق ألمح عين عراف
غمزهــا همس ، وهمسها الغاز
هيا . . .

***

يا بحر : يا كوة الابد المطل على الحياة
يا مخبأ الكنوز ومودع الرفاة
تستهويني اعماقك
ولكنها تشدني الى الشط أوتاد :
حدب كوخ ، ومناغاة طفل ، وطهر بسمات !
ترى . . أيعود زورقي يا بحر
وخفقات شراعه ترانيم
وبسمة النعمى فوقه تهاويم ؟؟

***

سكن البحر — يا زورق — وصفا افقه الاحدب
ورسا الظل على الشط ، والليل تسرب
وفي نقاء الماء ، ذرى برفق دراريه
فأنسن بالموجات
واستترن بالزمرد ، تعقده النسمات
هيا بنــا يا زورق
وراء لهب الشفق المح عين عراف
غمزها همس ، وهمسها الغاز ! !

***

. . . وتوغل الملاح في المدى الازرق
يتهادى الى سراب أمانيه
فاذا الاعاصير تبعث حقد الاعماق
واذا الانواء تثير حمق اللجة
واذا الشدق الفــاغر يزدرد
« الزورق »

***

يا سمير الازل ماذا غاظك مني ؟
لم اجر الذيل فوقك تياهاً
وعن غير الدنايا مـــا تعاليت
وما اقترفت في دنياي غير التمني ! !
وأنت يا موجة :
تنطلقين نحو الشط هدارة
لتشي الى الرمال السادرة بقسوة البحر
— أواه مـــا ابعد الشط عن عيني —
على نواتي، صخوره الهرمات
ستلقين ظلّا يعكف على ظل
وعينين تلتمسان في الافق رفات شراع
بالله يا موجــة :
قولي لها همساً ولا تجهري :
« زورق الرجاء لن يرجع
كلا ، ولن يعود معه الملاح »

احمد سويد

قلوب

ظلمة سوداء تهتز فتذروها الرياح
واختلاجات من الوهم لدى
الوحدة تحدوهـــا جراح
وصرير صامت يحمله من عالمي الطامي جناح
وعلى الدرب قلوب زرعتها امسيات وحقوب
وطوتها وطوت في جانحيهــا
حلماً مات وما طل الصباح
اكر عفراء ما جللها الطيب ولا رف السماح
قذفتها ارجل حمرا ! . . .
وغطتها على الدرب الرمـــال
ورمتها ! . اي قلب جف في دنياه حلم وخيال
لم تمت فيه الظـلال ؟ ! . . .
ها هنا في وحشتي الخرساء ! في صمتي الطويل
جفت الدنيا ! ومل الليل صمتي وذهولي
وترامت حولي الاطياف من امس حقير
وتطامت اليها !
فاذا من عدمي البارد اشباح قبور
تتوالى تلفظ الموت وتكبو فوق اطلال الليالي
شاحبات نكرات سلختها اعصر
اعين جوفا ووجه منكر
وصليل فارغ يخنقه الليل ويطويه الفناء ! ؟
ها هنا جرعة خمر أخرس الدهر شذاها
وبقايا اكؤس اغفى عليها وطواها
وشفاه جف في احنائها طيب الرضاب
بعثرتها شهوات ! . .
صور شنعاء من فجر عذابي ! . . .
واحتراق صامت يفني حياتي وشبابي ! . .
انا كاس وفؤاد وشفاه ! . حطمتها ومضت عنها
كئوس وفؤاد وشفاه ! ؟ . .

حمص — دلال شيرازي

لا ولا

كما ترقص الريح فوق اللهيب فيرتجف الشيخ فرط الهرمْ !
كما يزحف الاثم فوق القلوب فيجمد فوق الجباه الندم !
كما تتمشى ظلال الصباح على خاطر ساهر لم ينم ،
فما يكشف الصبح سر الحياة وما يكشف الليل سر العدم !
كذاك تعرّيت يا فتنتي بشطّ الحياة ، ولم استحم !؟!

***

وادركت اني على قمتي أعاني الحريق .. ولا احترقْ !
فلا انا جاوزت ذاك المدى ولا انا شارفت هذا الافق !
فناديت .. ناديت « يا فتنتي » وناديت .. ناديت هل مَن نطق ؟
على قدميك عصرت الحياة وخبأتها خلف هذا النفق !
وعانيت كيف تفور الحياة وادركت كيف يموت الشبق !
ولا انا جاوزت ذاك المدى ولا انا شارفت هذا الافق !!
تلظيت يا فتنتي بالحياة ويا فتنتي كيف لم احترق !؟
وادركت ... ادركت اني هنا – بعمر حطيم وقلب مزق –
على مرشفيك اصب الحياة فأملأ ينبوعها المندفق ؟!!
وأعرى ... وتعرين يا فتنتي ونحن في العري حتى ندق !!
فأعصر .. اعصر يا فتنتي واعصر ... اعصر حتى الرمق
ويا فتنتي كل هذي الدموع ويا فتنتي كل هـذا العرق ،
واحيا !.. وتحيين في وقدتي ؟؟! وتمضي . وتمضي ولا نطاق؟؟!

***

تلظيت يا فتنتي بالحياه ويا فتنتي كيف لم احترقْ ؟ !
فلا انا جاوزت ذاك المدى ولا انا شارفت هذا الافق !!

***

وناديت .. ناديت يا فتنتي وناديت .. ناديت . هل من نطقْ ؟
بروحي اغاي .. وفي قمـتي صداي .. ولحن دمي المنبثق
وحولي مواكب الفـاظه تراقـص ترنيمه المتسق
ولكنها !! اين ؟! ناديتها وناديتها !. كيف لم تستفق ؟!!
أتنكر ما في دمي من لغي سوى رعشة الطرف والمعتنق ؟!
أتنكر الفاظي القائلات على غير مـا لذة تستبق ؟!
أتنكر معناي ؟! معنى الحياة ، معنى التمزق .. معنى الحرق ؟!
تساؤلنا في مجالي القنوط وارجافنا في مهـاوى القلق !؟
سأهجر مسربها ما حييت ! وثم افترقنا ! .. ولم نفترق ؟!

***

كما ترقص الريح فوق الهيب فيرتجف الشيخ فرط الهرمْ !
كما يزحف الاثم فوق القلوب فيجمد فوق الجباه الندم !؟
كما تتمشى ظلال الصباح على خاطر ساهر لم ينم !
فما يكشف الصبح سر الحياة . وما يكشف الليل سر العدم !!
كذاك تعريت يا فتنتي بشط الحياة ولم استحم !!

***

وادركت اني في وحدتي اعـاني الغروب ولا اغـتربْ !
فناديت .. ناديت يا وحدتي وراء الحجاب ولا احتجب !
تلبثت يا وحدتي بالحياة فيـا وحدتي كيف لم التهب !
وما نضب الزيت يا وحدتي فما لذبالتيه لا تشُب !!
وناديت .. ناديت «يا وحدتي» وناديت «يا وحدتي». لم تجب !!
بروحي انـاي .. وفي قمتي صداي ولحـن دمي المصطخب
وحولي مواكب الفـاظه تراقـص ترنيمه المستحب
وناديت .. ناديت يا وحدتي وناديت « يا وحدتي » . لم تجب!!
واحسست ان اصوتي صدى هناك .. هنالك .. بل يقترب !
فأنصتُ .. انصت علّ المدى اضاف اليه صدى مغترب !
فأحنو عليه .. وأحيـا له وليداً جديداً غريب النسب !!
وفي خاطري انهل رجع الصدى .. حزين الخطى مثقلًا مكتئب !
وما فيه غير الذي قلتـه صداي السقيم الشقي النسب !!
فأدركت اني من وحدتي اعاني الغروب ولا اغترب !!

***

كما ترقص الريح فوق اللهيب فيرتجف الشيخ فرط الهرمْ !
كما يزحف الاثم فوق القلوب فيجمد فوق الجباه الندم ؟
كما تتمشى ظلال الصباح على خاطر ساهر لم ينم ،
فما يكشف الصبح سر الحياة وما يكشف الليل سر العدم !!
كذاك تعرّيت – يا وحدتي – بشط الحياة ولم استحم !

القاهرة — محمود امين العالم

فلم الوجود

من كوى النور في الفضاء البعيد يعرض الله فلم هذا الوجود
فعلى سلم الشعاع ظلال تهبط الارض في زحام فريد
مسرح ضج بالخلائق حتى زحم الميت فيه ركب الوليد
يا له عالماً نساق اليه ليس فيه من مطمع لوحيد
كلنا عابر يجيء ويمضي مسرع الخطو كالشريد الطريد
وترى الناس في احتراب وحرب ونضال وثورة ووعيد . .
فقوي يسعى لسحق قوي وعنيد يمشي لقهر عنيد
اتراه للظلم مسرح لهو ليس يخلو من سيد ومسود
ام هو الكون ظلمة وضياء وجديد يكر اثر جديد
انما جوهر الحياة صراع . . يدفع الخلق للكمال العنيد
واختلاف الادوار سر سناها اين لولا الهبوط فضل الصعود
مجد العدل والمساواة قوم خسروا حلبة السباق المجيد
فانبرى بعضهم لبعض عميداً فاذا هم يشكون ظلم العميد
هكذا هكذا الحياة صراع بين شطي مهودها واللحود
فحياة بغير كر وفر ليس يحلو طلابها لمريد
عبثاً يفقه الحلاوة حي لم يذق طعمة المرار الشديد
فاطلب العيش يا رعاك نضالاً انما العيش المريد العنيد
ان تهن انت عز غيرك فاحذر كبوة اليأس في صراع الوجود
فالذي صير الملوك ملوكاً شمم مات في نفوس العبيد

وديع دبب

على الشاطئ

أترى الشمس أشرقت في الغصون في عقود الاوراق والليمون
ألف خد يبدو على كل غصن كخدود الحبيب في التلاوين
ذكرتني خد الحبيب المفدى وهو في خاطري وبين عيوني
كل ليمونة على الارض تهوي لفظة تمتمت باذن السكون .
أحبوب من الضياء انارت عتمة الظل في نواحي الحزون
ام كنوز على الغصون غوال تتباهي بدرها المكنون
فجنيت الثمار منها كجان مخصب الاغلات والسكين .

رياض معلوف

الفنان

أدلجَ الليلُ في ضمير الوجود يا نجيّ المنى ، وحلم الخلودِ !
وبمصباحك العليلُ صُبابات من النور آذنت بالهجود !
وبعينيك نظرةٌ تعهد الدنيا وتطوي العهود خلف العهود !
أيهذا الفنان ضاعت أمانيك على مذبح الزمان الكنود
عش كما شئت في الحياة كريماً ساجاً في الفضاء خلف السدود
لا تبال الحياة ، فهي سرابٌ كاذب الوهم ، مفعم بالقيود !
واحي للفن انما الفن دنيا صاغها الله من جمال ، وجود !
إنما الفنّ مورد الحب والنور ، شهي الامواه ، عذب الورود
انما الفن أيكة عاش فيها بلبل القلب بين ناي ، وعود
انما الفن دوحة في ذراها كل ما شئت من جنىً ، وورود
انما الفن جنة لفؤاد عاش رهن الجوى ، صريع القدود
يعشق الحسن في الربيع اذا لاح لعينيه في أعالي النجود !
ويرى الله في الأصيل وفي الليل وفي بسمة الصباح الوليد !
دينه الحب والجمال ، ودنياه مزيج من المنى والوعود !! . . .

***

يا صديقي الفنان . . . هذا يراع خصه الله بعض سر الوجود
بارع يرسم الصفاء اذا مرّ على ثغر غادة أملود . . . !
وتراه يصورّ الريح والنوء ، ولمع السنا ، وقصف الرعود . . !!
هو إن رق صدحة للقماری واذا ثار : صرخة للاسود
وهو وحيٌ قد رف في خاطر الفنان مذ كان ناعماً في المهود !
تلك آثاره . . . كأن عليها نفثة الروح من يمين الخلود !! . .

***

أيها الساهر المجِد مضى الليل فرفقاً بجسمك المكدود . .
او ما تلمح السراج خفوقاً خفقة الروح آذنت بالخمود !
ما الذي نلت من حياتك الا كل غبن من الورى ، وجحود
ان روح الفنان – لو كنت تدري – قبس ضل في الدياجي السود
طالما أسعد الوجود . . ولكن لم يذق في الحياة معنى السعود
حسبه أنه يعيش كريماً . . . ساجاً في الفضاء . . . خلف السدود
دينه الحب والجمال ، ودنياه مزيج من المنى والوعود !! . .

الاسكندرية — فؤاد كامل

هيام

أي نعمى في حبنا الابدي أبعدتنا عن الزمــان الشقي
يا حبيبي ، انا وأنت ، غريبــان قصيان ، من مكان قصي
لا ترانا العيون ، نحن طيوف من خيال ، ومن ضمير خفي .
من ضمير الزمان نحن اتينا وهوانا من عــالم علوي
ما خطرنا يوماً بخـاطر رسام مغنٍ ، او شاعر عبقري
ما أغاني جميل — يا ملهمي الشعر — سوى رجع حبنا العذري
يا حبيبي ، من سحر ذلك اطلقت جناحي في خيال نقي
وبعثت الاشعار ، تزهو على الدنيا بذكراك ، في اهاب سني
وأرتني الحيـاة عيناك فردوساً ندياً ، في ظل عيش ندي
لك يا ملهمي بقلبي احلى مـا يكن الوفي نحو الوفي

دمشق مديحة عطاش

نغم يموت

نغم !! مـات على اجمل فم حاملاً بين ثناياه الالم
نغم !! لو طال ، لم يسمع صدى في فم الدنيا ، سوى ذاك النغم
نغم ، افلت من همس الندى يلثم الزهر ، على خضر القمم
من شعاع البدر ، مسكوب على صفحة الماء ، اذا البدر استحم
من انين الناي ، في الليل ، ومن بحة المزمار ، يطويها العدم
من رفيف الزهر ، في الروض هفا للندى ، قبله ، صبحاً ، ورشم
من روا القبلة ، من اشذائها عندما تغر ، على ثغر ، يهم
من خفوق القلب ، لما شفة كالطلى ، يزرعها ، الشوق بفم

***

نغم !! يا طيب ما خلفه !! في حنايا الروح ، من حزن وهم
كلما مرت على الدنيا رؤى ، ضجت الذكرى ، ورواها الندم .
كيف لم يخلد لديها نغمي ؟ كيف لم تعطف عليه ؟ كيف لم ؟
لفه الموت ، حنيناً ، ليته اف كل الكون ، تحناناً ، وضم

***

نغم !! قد مـات ، ما دنسه وتر ، شد عـلى عود اصم
نغم ! ! ما زال لي منه صدى رب ذكرى ، انبثت ، حتى العدم
مات يا قلبي !! جريحاً نغمي ، آه !! لو يحيا ، على جرحي ، النغم

صافيتا — سوريا محمود عيسى

أنت من انت ؟

مهداة الى قصيدة « انت » للاستاذ البير اديب
المنشورة في عدد كانون الاول ١٩٤٧

أنتِ من انت تحرسين طريقي ؟ وتهلين في خيـالي الطليق
فكرة تغمر الوجود وتهفو بين خفق الحنـان والتصفيق
وتضيء الاغوار في عتمة المسرى واحسو من مقلتيها رحيقي ؟ . .

***

أنتِ من انت ؟ هل اتيت لدنيا الناس والحب عهد حلم رشيق
فتهاديت في جفوني وأشرقت صبـاحاً على فؤادي المشوق
واذا روضتي عراها ذبول قلت : يا زهر يا ورود استفيقي
وسكبت العطور من أنمل الخير ندى الحب ، كالملاك الرفيق
وذريت الانغام في مسمع الانهـار والطير والضياء الدفيق
فاذا الكون لحن شوق يناجيني ويهدي عمري ويجلو طريقي

***

أنتِ من انت ؟ في شفاهي بقـايا تمتمات ، وفي يدي ابريقي
سكر العمر من سلافته النشوى وأغفى في ليـل سر عميق
لم أهدهد لحني وحطمت في الحب كؤوسي ، وما نهلت رحيقي .
او نحسو كأساً فنجمع قلبينا ونسمو عن عـالم المخلوق
ثم نبقى نتيه ، نطوي رحـاب الكون ، نجد في التحليق
ونذل القيود ، فالزمن المحدود لا يعيق من جموح العروق

***

انت مني حلمي ؟ فهلا ! التقينا لحظة في ظلال روض وريق
او مضينا معاً على العشب مضي العجالى الى الربيع الانيق
او دعتنا السماء نزهة حلم مرهق الخفق في الفضاء الطليق

***

انتِ من انت ؟ لست ادري سوى اني مجد في طفرة المعتوق
والاماني سكرى وآمالي الزهر حيـاة جياشة في عروقي
وصبـايا الاحلام عربيدة البوح تراءى في غمرة من شروق

***

أنتِ من انت ؟ لحظة . . . وتمثلت فكنت مني ، أخي ورفيقي

كامل العبدالله

نفس شاعر

لازماً علينا كي يتسنى لنا ان ندرك نفسية الشاعر ان ندرك بعض الشيء عن حياته ونلم بالكثير مما يعود الى البيئة التي اكتنفته والاجواء التي شب فيها وقضى ايامه الاولى ، ايام طفولته الغريرة التي طبعته بطابعها وتركت بعدها في قرارة نفسه من الاثر ما لا يقوى الزمان على طمسه او على محو معالمه والوانه ، واني لاجرؤ على القول ان ليس من شاعر حتى الآن تركت دنياه في اعماقه ما تركت دنيا الشاعر هاوسمان الانكليزي الخالد في مهجته من اثر مؤلم يحز قلبه ، ومن غصة ترددت كحشرجة النزع في حلقه فافلتها قطعاً من الدماء القانية ونتفاً من حرق سكرى بالعذاب الكثير المرارة . فاذا باليؤس الممض يهصر كبد الشاعر ويصقل روحه فيزيدها رزانة في البلاء وعنفاً في الشدة وقوة جبارة في الشقاء المقيم فنقلت منه الآلام افلاذاً غذتها كبده الحرى وكانت لها مهجته طعاماً سائغاً . واذا بالشعر ينطلق من حنجرته انطلاقاً حراً انعتق من قيود النظم العقيمة التي كثيراً ما تشل خيال الشاعر وتصده عن كل توليد وابداع .

ولد الشاعر في السادس والعشرين من شهر آذار ١٨٥٩ وهو اكبر اخوته الذين تحمل اثقال اعبائهم والعناية بهم اذ داهمته وفاة امه وهو في الثانية عشرة فتزوج ابوه المحامي ثانية وجاءته الام الجديدة التي فرضت امومتها عليه . نال جائزة الشعر في مدرسته الاولى وهو في الحادية عشرة من عمره . وكان هذا الغلام المرهف الحس الملهب القلب والروح ، الغريب الاطوار والنزعات في عين ذويه نفساً حائرة ، وشخصية ذات اخلاق شاذة . ومتى كان الشاعر لتلتئم مزاياه وطباع الآخرين . او متى كان الشاعر ليسر ذويه فيفخروا به في ذلك الزمان البعيد . وقد كانوا ينظرون الى الشاعر والممثل نظرة ازدراء ويتهمونهما بقولهم انهما ارواح شريرة وان صناعة الشعر والادب والتمثيل لصناعة من صناعة الشيطان وان قلب الشاعر يقطن فيه ابليس . وقد ذهب بعض الكتاب الذين عالجوا ادب هذا الشاعر الى ذكر المرأة في حياته لكن الحقيقة هي غير هذه ولا تلتئم مع نزعة نفسه وطبيعة أنغامه التي يجوز ان نعتبرها ادق ما وصل الينا الشعر العاطفي ، الفياض الالم دون ان تكون المرأة ملهمة هذه الروح او ملهمة هذا الخيال . اضطره شقاء الحياة ان يعمل ككاتب بسيط مدة عشرة اعوام فعاش متزوياً في ضواحي مدينة لندن على نمط رتيب ليس فيه من متع الدنيا سوى الكتاب وعلم اللاتينية واليونانية . ولما نقص الاقبال على اللاتينية عين استاذاً لها في جامعة كمبردج الى ان مات في ٣٠ نيسان ١٩٣٦ . وكان من ميزات ادبه نقمته على الممتحنين الذين لا يعالجون مادة الامتحان على اساس فلسفي او نفساني بل على اساس النص وقشور الالفاظ . ولم ينس في نقده اللاذع المحكم القول ، اولئك المدعين العلم والمتفطرسين من صغار العلماء الذين يسميهم بلذة سم المجتمع والفكر الابي الحر . فلم يعتمد في مجده الا على الشهرة التي حظي بها عند العامة دون ان يعير الخاصة اهتمامه لذلك رفض وسام الاستحقاق الذي احبت الحكومة ان تمنحه اياه . فهو شاعر ريفي النزعة والجمال . فاليك صورة عن شخصيته وادبه : كان هاوسمان محدثاً خفيف الروح ، حاضر النكتة ، مشهوراً بفنه في تذوق الخمرة الجيدة ومعرفة خصائصها وباقباله على الطعام الفاخر ، النادر ، لم تحبه الطبيعة كثيراً من المواهب الاجتماعية بل منت عليه بميل ضئيل نحو اللذائذ وانواعها او السمعي وراءها فكان سروره منحصراً في وحدته التي غذت روحه وفي تاملاته في عزلته عن الدنيا الغنية بالضوضاء .

ومن ميزات ادبه السذاجة المتلاحمة الاجزاء السامية القياس البعيدة الخيال . ومن صفات شعره الحساسية العميقة المهفهفة الحواشي المجنحة الفيض بدقة يقصر عنها الخيال لذا ذاع صيته في الادب العالمي . فهو لم يؤثر في جيل فقط بل سيظل لطلاب الادب نموذجاً ، شذ عن العرف الرتيب المقنن في اطار من نطاق سيطر عليه الوهم الاجتماعي وعقم الوحي الذي لا آفاق له ولا مرامي ، وقد قال هاوسمان عن الشعر انه ليس مادة منبعها العقل بل الشعر عصارة الروح والاحاسيس البعيدة الغور في مجاهل اللامادة . فالشعر هو ذلك الشعور المسيطر على النفس في حالة من اللاوعي والغيبوبة التي هي سر الهامات الشاعر والهاماته والتي ينفذ بها الى دنيا الجمال والخلق . ففي شعره آلام صارخة تنبه فيها عن حس العاطفة الواعية . وشعره غنائي معرمزية لا يصح معها ان نسميه شاعراً او كلاسيكياً كما يفهم من هذه الكلمة في عرف الادب . واليك بعض نماذج من شعره وهي قليلة اذ يضيق المجال عن ذكر اروعها واخلدها .

يقولون ان شعري كئيب . فلا عجب .

فان حدوده الضيقة تقيس ،

دموع الابدية والالام ،

الوجودية

بقلم شعبان بركات

ألمحنا في مقالنا السابق* بأهم الاسس والمبادىء التي تقوم عليها الوجودية ورأينا ان الانسان يعيش بين القلق واليأس لا يجد له معيناً في الارض او في السماء سوى جهده والتزامه .

وسنحاول في مقالنا هذا ان نفسر القول في الالتزام : L'engagement والذاتية La subjectivité

يقول الوجوديون ان الواقع الانساني لا يجب ان يفضي بنا الى التواكل وتثبيط الهمم بل من شأنه ان يحفزنا الى العمل . فالمثل القديم يقول : « لست بحاجة الى الامل كي تبدأ العمل » . بل ان المذهب الوجودي يثور ضد التواكل اذ ان المتواكل يقول لنفسه :

ان الآخرين يستطيعون القيام بما لا استطيع القيام به بينما الوجودية تقول : ليس هناك من حقيقة الا بالعمل . بل تذهب الى ابعد من هذا فتقول : ليس الانسان سوى ما يشرع في تحقيقه لنفسه وهو ليس سوى مجموعة افعاله في حياته . وليس هناك من عبقرية سوى العبقرية التي تعبر عن ذاتها في الاعمال الفنية فعبقرية بروست « Proust » هي عبارة عن كل ما انتجه بروست من آثار . وعبقرية راسين Racine هي مجموعة مآسيه . فلمَ ننسب الى راسين قدرته على كتابة مأساة جديدة هو لم يكتبها بعد ؟ .

ان المرء بالتزامه في حياته يرسم صورته وليس هناك شيء آخر غير هذه الصورة .

ولربما بدت هذه الفكرة قاسية بالنسبة الى الذين لم ينجحوا في هذه الحياة . ولكنها من جهة ثانية تهيء الناس الى الاعتقاد بأن الحقيقة فقط هي المؤثرة وان الاحلام والآمال تمكننا فقط من تحديد الانسان لحكم خاب وامل خائب .

غير اننا حينما نقول : ان الانسان ليس سوى حياته فلا نريد بذلك اننا سنحكم على الفنان بالاعتماد على آثاره الفنية فقط بل ان هناك اشياء اخرى عديدة تؤثر في هذا الحكم . فالانسان ليس سوى مجموعة من المحاولات يسعى لتحقيقها . وليس هو كما يدعى زولا Zola في قصصه عبداً للوراثة او البيئة او المجتمع او لأية جبرية عضوية او نفسية . اذ لو كان المرء كذلك لقال الناس : « هذه حالنا ولن نستطيع لها تبديلاً » والوجودي حينما يصف في قصصه جباناً ما يعتقد ان هذا الجبان مسؤول عن جبنه . فهو ليس جباناً لان الجبن في قلبه او رئته اوعقله . وهو ليس كذلك بسبب تكوينه الفسيلوجي بل هو جبان لانه جعل من نفسه جباناً باعماله . وليس هناك مزاج جبان بل هناك مزاج عصبي ومزاج هادىء .. لان الجبان يقدم على فعل الاحجام والتسليم .

ومتى كانت هذه هي وجهة نظر الوجودية فهي ولا شك عقيدة تقوم على التفاؤل . وهي بهذا ابعد ما تكون عن التشاؤم ، والقعود بالانسان عن العمل لانها تقول له : ليس لك من امل في شيء سوى العمل . وهي اذن تدعو الى اخلاقية العمل والالتزام .

ويعتقد الوجوديون ان « الذاتية » شيء اساسي في الانسان . وذلك لانهم يريدون ان يقيموا مذهبهم على الحقيقة وليس على النظريات والفروض التي لا ترتكز على اي اساس واقعي .

وليس هناك من حقيقة سوى هذه الحقيقة : انا افكر اذن انا موجود . فهي حقيقة مطلقة يصل اليها الوعي في اسمى حالاته . وكل مذهب يعتبر الانسان في غير هذه الحالة يقضي على الحقيقة الواقعة . اذ انه خارج هذه الحالة Cogito تبقى الاشياء في حالة

* الاديب عدد آذار ١٩٤٨ ص ٢٤

التي هي ليست آلامي فحسب بل آلام الانسانية .
قالوا ان الحب خطيئة وجريرة .
وانا لم اسألهم قط لماذا .
فان انا كنت ارتكب خطيئة عندما احبك ايتها الحبيبة .
فسأظل ارتكب هذه الخطيئة الى ان الفظ نفسي الاخير .
وهكذا نشعر ببؤس هذه النفس التي صهرها العذاب واقض عليها مضاجعها احساس مرهف بويلات الآخرين ومصائبهم فهو لم يقل الشعر للعبث واللهو بل قاله ليعبر به عن خوالج نفسه فالشعر جوهر طبيعته ، او آلة للافصاح عن مختلجات فؤاده . وقد كان لحوادث حياته الاثر الاكبر في تكييف هذه الاحاسيس . فمات ولم يمت بل سيظل حياً ما دام في صدر الانسان قلب يحس وعرق ينبض .

الامكان . وكل نظرية تعتمد على الممكن مصيرها الى الزوال لاننا لكي نحدد الممكن يجب ان نعرف الحقيقي .

والوجودية هي المذهب الوحيد الذي يحفظ للانسان كرامته وقدره لانها لا تجعل منه شيئاً كالاشياء . بل تريد ان تنظم المجتمع الانساني على انه مجتمع قائم على قيم خاصة به منفصلة عن العالم المادي .

وهذه الذاتية ليست ذاتية فردية تماماً لاننا اوضحنا ان « انا افكر » لا تصل بنا الى معرفة وجودنا بل تنتهي بنا ايضاً الى معرفة وجود الآخرين الذين نكتشف ان وجودهم ضروري لوجودنا . فنحن لن نكون صالحين او طالحين الا اذا اعترف هؤلاء الآخرون بنا كذلك . فلكي اكوّن لنفسي فكرة عن ذاتي يجب علي ان انظر الى نفسي من خلال الآخرين .

وانا اكتشف الآخرين احراراً لا يفكرون ولا يريدون الا وفق ما افكر او اريد او على عكس ذلك .

وهكذا يعيش الانسان في عالم نسميه «من خلال الذاتية» وفي هذا العالم يقرر الانسان « ما هو عليه » و« ما عليه الآخرون » .

واذا كان من المستحيل ان نجد في كل انسان جوهراً عاماً هو « الطبيعة الانسانية » فان هنا مع ذلك نوعاً من العموم في الواقع الانساني .

والاوضاع التاريخية الانسان مختلفة : فلربما ولد المرء عبداً في مجتمع ملحد او لربما كان سيداً من اسياد القرون الوسطى او عاملاً من عمال المصانع .

غير ان الشيء الذي لا يتغير هو ان الانسان محتاج دائماً للعيش في العالم ، وان يعمل فيه مع الآخرين حتى يموت . وهكذا يبدو لنا ان لهذه الاوضاع التي تحد الانسان وجهين : وجه موضوعي ووجه ذاتي . هي موضوعية لاننا نلقاها عند جميع الناس وهي ذاتية لانها تؤثر في حياة الانسان .

وكل مشروع يضعه الانسان للخروج عن هذه الاوضاع يمكن ان يفهمه كل فرد سواه فهو بهذا مشروع عام . وهكذا فان الاوروبي الذي يعيش في سنة ١٩٤٥ يمكنه ان يفهم مشروع الصيني والهندي بان يبدأ من حالة يتصورها ويسير بها نحو نهايتها . ونحن نستطيع ان نفهم الغبي والطفل البدائي كما نفهم الغريب اذا ما تيسرت لنا المعلومات الكافية عنهم .

غير ان هذا لا يعفينا من انتقادات توجه لنظرية الذاتية في الوجودية . فارب قائل يقول : يستطيع الوجودي ان يأتي باي عمل ، ثم هو لا يستطيع الحكم على الآخرين لانه ليس هناك سبب لتفضيل مشروع شخص على مشروع شخص آخر ، حتى ليبدو ان كل شيء يحدث عفواً وان الوجودية تأخذ باليمين ما تعطيه باليسار . ونرد على الاعتراض الاول بان القول بأن الانسان يستطيع اختيار اي شيء ما غير صحيح . فالاختيار صحيح من جهة ، غير ان المستحيل ان لا يختار الانسان . فانا استطيع ان اختار دائماً ولكن يجب ان اعلم انني في حالة عدم الاختيار اختار ايضاً . ولربما بدا كل هذا شكلياً ولكن له اهمية كبرى في الحد من اهواء الانسان .

فأنا كانسان ذي شهوة جنسية يجب علي ان احدد موقفي في هذه الحالة وان اتحمل مسؤولية عملي .

وهذا الالتزام الذي آخذ به نفسي الزم به الانسانية جمعاء .

فانا لا استطيع ان ابقى بدون اختيار : اما ان ابقى عازباً واما ان اتزوج وانجب ذرية .

اما القول بان الوجودي لا يستطيع الحكم على الآخرين فهو حق من جهة وخطأ من جهة أخرى .

هو حق لان الانسان حين يختار التزامه باخلاص لا يمكننا ان نجعله يفضل عليه التزاماً آخر . وهو خطأ لان الوجودي يستطيع ان يحكم على افعال الآخرين بقوله ان اختيار الآخرين منه ما هو قائم على الخطأ ومنه ما هو قائم على الحقيقة .

يمكن ان يحكم على شخص ما بأنه سيء النية وليس هذا الحكم حكماً اخلاقياً ولكنه قائم على تحديد ان سوء نيته خطأ لان سوء النية كذب يخفي حرية الاختيار والالتزام ، ولرب قائل يقول : اني اريد ان اكون سيء النية فتجيبه الوجودية : ليس هناك ما يمنعك من ذلك غير ان هذا لن يمنع من الحكم بأن من المناسب ان تكون حسن النية .

اما الاعتراض الاخير القائل بان كل شيء يحدث عفواً وان الوجودية تأخذ باليمين ما تعطيه باليسار او ما معناه بان القيم ليست جدية لانها من اختراعنا واختيارنا فان الوجودية تأسف لهذا اشد الاسف ولكن هذا هو الواقع لانها لا تعتمد الا على نفسها وتعتقد ان الحياة خالية من كل معنى قبلي . فهي ليست شيئاً ما قبل ان يحياها الانسان ويختار لها قيمتها .

نرى من خلال ما تقدم ان الوجودية ليست مذهباً يعتمد على اليأس كما يريد لها اعداؤها بل هي تريد ان يلتفت الانسان الى نفسه ويؤمن انه ليس هناك من ينقذه منها ، وهي بهذا تقدم على التفاؤل ومن سوء النية ان نقول بانها قائمة على اليأس والقنوط .

القاهرة　　　　شعبان بركات



تاريخ الشعوب الاسلامية

لكارل بروكلمن — ترجمة الدكتور نبيه فارس والاستاذ منير البعلبكي ،
الجزء الاول : العرب والامبراطورية العربية — ٢٢٦ ص
دار العلم للملايين — بيروت

اما الكتاب فقد قصد به الى ان يقدم للقارىء الاوربي — ورجل السياسة خاصة — صورة اجمالية موجزة عن تاريخ الشعوب الاسلامية وقد ظهر في اصله الالماني سنة ١٩٣٨ ، ثم ترجم الى الانجليزية سنة ١٩٤٤ ، واضاف اليه المترجم ضميمة تمتد بهذا التاريخ الى عام ١٩٤٤ . ويحسن بالمترجمين العربيين الا يترجموا هذه الضميمة التي تستغرق قطعة حادة من التاريخ العربي المعاصر ، لان ذلك المترجم الانجليزي — وهو يهودي — قد كتبها من وجهة نظر تجافت كثيراً عما يتفق ووجهة النظر العربية ، بله الموضوعية الخالصة . ونحن نعلم من ناحية اخرى ان السيد سسل حوراني يعنى بتاريخ هذه الفترة ، فان شاء المترجمان ان يستغلا عمله في هذا الباب لوفقوا جميعاً الى ما يبتغيه القارىء العربي ، هذا ان لم يقوما هما بهذا العمل .

ووفقاً لتلك الغاية التي استهدفها بروكلمن جاء كتابه يعتمد اكثر ما يعتمد على مصادر ثانوية ، اعني على ابحاث غيره ، فأتى بخلاصة آراء الباحثين من المستشرقين عن هذه الحقبة الاولى من التاريخ الاسلامي ، وهذا يفسر لنا الواناً من الآراء التي قد لا تقع موقع الرضا من القارىء المسلم خاصة فيما يتصل بالنبي ، اذ اعتمد المؤلف هنا على لامانس وقليل من كيتاني ، وكلاهما قد شاء ان يؤرخ السيرة من وجهة نظر معلومة ، ويمكن ان نقول متهمة ايضاً بالنسبة الى لامانس على الاقل ، ويلوح ان المترجمين العربيين قد احسا بهذا ، فزودت هذه الترجمة بحواشٍ على بعض المواضع الشائكة في كلام المؤلف . لكن الشيء الذي يخشى من هذا الصنيع في بعض الاحوال ان تقصّر هذه الحواشي دون الغاية ، فتفوّت الغرض منها بصورة اشد إبهاماً للقارىء ، كما حدث مثلاً من قبل في ترجمة كتاب « العقيدة والشريعة » لجولدتسيهر ، فما زود به من حواش قصر عن تحقيق الغاية ايما تقصير ولهذا فنحن لا نميل الى هذه العادة التي جرى عليها المترجمون لامثال هذه الكتب ، ونرى من الخير كل الخير ان تترك على علاتها ، دون (حواش ولا ردود ، فهذا اجدى من كلتا وجهتي النظر : نظر المؤلف الاصلي لانك تركت نصه حراً تنفعل واياه في غير ما حائل طفيلي اشبه ما يكون بالاصوات الطفيلية في الاذاعات اللاسلكية ! ، ثم نظر القارىء الذي يريد ان يفكر لنفسه ، واذا احتاج الى هداية ، فلتكن على حدة على صورة رد مستقل .

لهذا ليس للمرء ان يطلب من كتاب بروكلمن اكثر مما رمى اليه صاحبه ، فالعمق الذي الفناه لدى المستشرقين الالمان خاصة ، والدقة في ايراد الحجج والوقائع واستخلاص النتائج ، كل هذا ستفتش عنه عبثاً في هذا الكتاب . لكنك واجد فيه وضوحاً ، وواجد فيه بين موضع وموضع التفاتات لا تخلو من الاصالة ، وان قل عددها ، وسترى فيه كذلك ربطاً بين الوقائع فيما يتصل بالاعتماد على المصادر المختلفة : الفارسية والبيزنطية والعربية ، عن تلك الفترة . واذا كان كتاب فلهوزن « عن الامبراطورية العربية وسقوطها » . يفوق هذا الكتاب بمراحل عدة ، بالرغم من قدمه ، فان لبروكلمن الفضل في انه تناول التاريخ الاسلامي حتى اليوم .

والترجمة العربية تتسم بالوضوح وضوحاً بولغ فيه احياناً حتى ليخيل الى المرء انه ازاء كتاب مؤلف ، لا مترجم ، مما قد يحيك في صدر القارىء منه ان الترجمة قد جانبت الدقة . ولا يفوتنا ان نعرض بضع ملاحظات عنت لنا اثناء القراءة .

واولها ان ثمت تعبيرات ليست جارية مع الاستعمال المألوف ، وبخاصة في الاسماء المنسوبة : مثل : «الخزرجيون» بدلاً من «الخزرج» « المكيون » بدلا من « اهل مكة » ، « المدنيون » بدلا من اهل المدينة ، . الى آخر هذه الاستعمالات — الصحيحة ، ولكنها غير معهودة .

وثانيها ان اسماء الاعلام ، وبخاصة البلدان والقبائل في حاجة الى مزيد من العناية في ضبطها ، وقد يكون سوء الضبط لاسباب مطبعية ، والشواهد مع هذا عديدة بحيث لا تحتاج الى فضل بيان .

وثالثها ان اسماء الاعلام الاجنبية كانت في حاجة الى ان توضع في صورتها الاجنبية الى جانب صورتها العربية حتى لا تفوت على القارىء .

الفائدة الكبرى من رد هذه الاعلام الى اسمها الاصلي ، وهو رد احتاج الى مشقة وجهد كبير انفقهما كثير من الباحثين .

على ان الترجمة ، بغير هذا ، ممتازة ، فيها عناية وجهد ، وفي تقديمها الى القارىء العربي عائدة موفورة من اجلها يستحق المترجمان ، الدكتور نبيه فارس والاستاذ البعلبكي ، كل عرفان بالجميل .

عبد الرحمن بدوي

نيران وثلوج

للاستاذ سهيل ادريس–٩٦ صفحة–منشورات دار العلم للملايين–بيروت

ينعم المؤلف فيما يبدو بمجموعة من المعجبين به والداعين له وانا على اعجاب ارغب الى صديقي صاحب « اشواق » سابقاً و« نيران وثلوج » حالياً ان يتسع صدره لمثل هذه الكلمة وان بدت في احكامها قسوة اذ ان نقداً تشوبه المحاباة بمقتضى الصداقة غبن للقارىء وما نزيد خداعه . ولست اقصد من وراء هذا النقد غير انصافه وخدمة القراء .

تضم هذه المجموعة عشر قصص سبق المؤلف انه نشرها متفرقة في الصحف وعز عليه ان تظل تشكو التنائي فأذن لها بالتقاء واي لقاء اذا رعته دار « العلم للملايين » بما عرفت به من تجويد في الاخراج واغراء في حلة العرض . ولطالما تمنيت بيني وبين نفسي له ولامثاله ممن هم في دور العطاء ان لا يأخذوا انفسهم بهذه الطرائق وفيها بادية شح — ولا اقول بادية نضوب .

اما موضوع هذه القصص فيكاد يكون واحداً في وقائعها وعلى وتيرة في سردها وقلما تمر بقصة لا تراوده فيها خواطر متشابهة والفاظ وتعابير هي هي بيد انها تزيد او تنقص ، كأن من القواعد الراسخة عنده ان لا تخرج القصة عن الحب — واي حب ساذج لو تعرف—وان لا يعدو اسلوبها هذه الجمل الثابتة والقوالب المرصوفة .

وهو اذا قدر وتجاوز مألوفه ليتناول مثلاً موضوعاً وطنياً يخونه فيسف بدل ان يحلق ويكتب قصة « استشهاد » التي تجيء بحادثتها على الهامش بدل ان يدخل في صاب المعركة ويدق الاجراس . . وعلى افتراض امكانها فما كانت حوادث هذه القصة لتجيز تلك المعجزة التي تنكشف عنها القصة .

على ان هناك شيئاً يدعو الى التفاؤل حين يتناول المؤلف في « اصداء » موضوعاً اجتماعياً يملك على القارىء شعوره واحساسه ، امني ان سهيل ادريس قد نجح في تصوير بطل « اصداء » الذي قتل اخته الحامل خنقاً لخيانتها . واستطاع ان يصور هذه الدوافع القلقة التي كانت تصهر نفسه بالعذاب والندم والفضيحة . وكنت اتمنى لو انه جعلها القصة الاولى في مجموعته بدل هذه النيران والثلوج !.

هذه نظرة مجملة في الموضوعات التي تضمها المجموعة المذكورة اما اشخاص هذه القصص فهي عامة بمعنى ان احدها لا يتميز عن الآخر ، هذا اذا لم يأت دائماً صورة طبق الاصل مع انه يغلب على اكثرهم الجمود الى درجة تخالهم تماثيل يتحركون آلياً من وراء الستار . واني لاعجب من المؤلف كيف حشر في هذه المجموعة « قبلة اليد » واني لن اخفي ملاحظتي التي سجلتها على هذه القصة : تمثال من عجين .

اما اسلوب هذه القصص فحدث عنه ولا حرج : جمل موشاة بالفاظ مزخرفة مزركشة لا نغبط المؤلف على جمعها وحشرها بهذا الشكل ، فهو لا يفتأ يردد في اغلب قصصه : الاماني العذاب ، الاحلام الخضراء ، الخيال المجنح ، حب مسعور (!) النشوة الحائرة ، تهدهد مشاعره ، مكنون الشوق ، اطياف مجنحة ، لذاذات الحب ، الطيف الحالم . . مما لا يسعني ذكره في هذه الكلمة العابرة . والواقع انه ليس من شيء اقتل للبيان من هذا الترديد . وبالاجمال فان اسلوب سهيل ادريس يتسم بهذه السلاسل من التعابير والالفاظ مما يدفع القارىء الى الشك في قدرته على الجملة وقدرته على ابتداعها .

كما انني — فوق هذا وهذا — لا اجد مبرراً لهذه الجمل المتقطعة وعلامات التعجب التي يكثر منها المؤلف . ناهيك بالثلاث النقط التي قد لا تسقط من سطرين اثنين ، وباستطاعة القارىء ان يجد برهاناً بسيطاً في قصة « اقوى من الحياة ! » (٦٧ مرة ثلاث نقط في ١٢٥ سطراً) ولا اكتم المؤلف ان هذه الطريقة الغريبة اضرت بقصة « اصداء » التي فضلتها على المجموعة كلها وان تكن فكرتها دخيلة عليه او مقتبسة . .

واكثر ما اخاف على المؤلف ان يسترسل على هذا النحو بعد ان كان بالفعل يشق طريقه صعداً فاذا به عند اول منبسط من منبسطات الطريق ينام قانعاً مغتبطاً بانه الغاية ، ودونها اشواط واشواط ودون اقتعادها مسافات طويلة .

وللحق نقول اخيراً ان « نيران وثلوج » على ما نأخذ عليها ثمرة لا بأس بها بين نتاج دور النشر الادبية اليوم . فهناك من الكتب الغثة ما تزيد على العشرات وليست هي الا من نوع حب ان اطلق

عليه « ادب صندويش » ادب سريع هزيل كالشاطر والمشطور لا يعطيه قارئه حتى هدأة الجلوس ! .

محمد عويدات

١ ــ بلادنا فلسطين

للاستاذ مصطفى مراد الدباغ – ٢٢٩ صفحة – مكتبة الطاهر – يافا

بين يدي الآن الجزء الاول من المؤلف القيم الذي يدل مظهره على انه سيكون اجمع ما كتب عن فلسطين الى يومنا هذا على قلة الكتب المفصلة الوافية التي تبحث بتفصيل واف عن معالم هذا القطر العربي الجريح وآثاره ومقدساته العربية .

وقد حرص مؤلفه على ان يخرج هذا الكتاب في اجزاء عدة ليشمل في بحثه تاريخ كل مدينة وبلدة وتاريخ ما يمكن ان يتوصل اليه عن القرى والمزارع والانهر مع وصف للحالة الحاضرة في كل منها .

وختم الجزء الاول منه بتاريخ فلسطين منذ فجر التاريخ الى انقسام المملكة اليهودية في عهد رحبعام بن سليمان الحكيم وضمنه تاريخ مدن وقرى وقبائل بلاد نابلس كل ذلك باحصاءات منظمة في جداول مرتبة . وقد ضم الكتاب دراسة وافية لمشاهير رجال نابلس منذ اقدم العهود الاسلامية . واستعراض كامل لاعرق اسرها كآل طوقان .

وختم الكتاب ببحث ضاف عن نابلس اليوم فتكلم عن اراضيها ومساحتها ومناخها مع جداول مفصلة للمعدل الحرارة فيها طيلة السنة وكمية الامطار التي تهطل فيها ، ثم احصاء لمستشفياتها ومدارسها وسكانها ومساجدها ومزارها .

والخلاصة ان هذا الكتاب يعد من اوفى الكتب التي كتبت عن فلسطين في الماضي والحاضر ، حري بكل من يود الاطلاع على حياة هذا القطر الشقيق ويتعرف الى احواله عن كثب ان يقتنيه لما فيه من جدة في البحث وتسلسل في المواضيع ، وسلاسة في التعبير . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً على ورق ابيض مصقول .

٢ ــ كتاب النبراس

تصحيح وتعليق عباس العزاوي – ٢٠٦ صفحات – مطبعة المعارف – بغداد

هذا كتاب جديد تخرجه المطبعة العربية في العراق بين الكثير من الكتب التي بدأت تدفق علينا في الحقبة الاخيرة والتي ان دلت على شيء فانما تدل على مدى النشاط الذي يبديه العراق الشقيق في ميادين العلم والبحث والتنقيب .

ويستدل من عنوان هذا الكتاب « النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس » انه من الكتب التاريخية التي عفا عليها الدهر الفه ابن دحية الكلبي الاندلسي المتوفي عام ٦٣٣ .

اشتهر بالتاريخ وذاع صيته برواية الحديث وهو من النوابغ في الآداب والعلوم وقد الف كتابه هذا اثر اسفاره الى بغداد والى الاقطار الاسلامية الاخرى .

وقد نقل كثير من المعاصرين عن هذا الكتاب القيم نصوصاً جليلة القدر الا ان احداً منهم لم يتعرض لتأريخه هذا « النبراس » بالتهذيب والتنقيح ، بل ظل مطموراً في زوايا النسيان والاهمال حتى قيض له ان يبعث على يد الاستاذ الفاضل عباس العزاوي . فقام على تصحيحه بدقة وعناية تثير الاعجاب .

يدرس هذا الكتاب خلفاء بني العباس واحداً واحداً متبعاً نهجاً خاصاً في تناوله لحياة اولئك الخلفاء جامعاً بين التاريخ واللغة والحديث والنقد . مطنباً في ذكر حياته لا يترك لفظاً الا ويشرح معناه ولا حديثاً الا ذكر سنده ولا مرجعاً تاريخياً الا ذكره ولا نقداً وجهاً الى مؤرخ الا اورده مما جعل له قيمة كبيرة بين كتب المراجع للعصر العباسي .

هذا والكتاب اخرجته لجنة التأليف والترجمة والنشر ببغداد الا انه لم يخل من بعض الهنات المطبعية ، التي لا تغض من قيمة هذا الكتاب الذي يعد فراغاً كبيراً في المكتبة العربية .

٣ ــ من سلسلة امس واليوم

للاستاذين جورج شهلا وشفيق جحا – قصة الالفباء – ١٠١ صفحة قصة الارقام – ١٣٩ صفحة – قصة الساعة – ١٢٠ صفحة – بيروت

وهذه كتب ثلاثة صدرت في « سلسلة امس واليوم » التي يخرجها الاستاذان جورج شهلا وشفيق جحا من اساتذة جامعة بيروت الاميركية . وهي سلسلة تعنى بنشر تاريخ الحضارة واظهار مراحل التقدم البشري بلغة سهلة واسلوب جذاب ، مشيرة الى القسط الوافر الذي ساهم فيه العرب لتشييد صرح المدنية الحديثة .

فالكتاب الاول « قصة الالفباء » استعراض سريع للمراحل التي مرت بها الالفباء فكانت كتابة تصويرية تشخيصية في مرحلتها البدائية الاولى ثم ارتقت مع ازدياد حاجات الانسان وعمق تفكيره فأصبحت كتابة تصويرية رمزية ، وتطورت مع الزمن حتى وصلت الكتابة الى مرحلة صوتية مقطعية ، وخص الفصل الرابع ببحث عن حل رموز الكتابة القديمة وما كان لحجر رشيد من فضل على التاريخ .

وتطرق المؤلفان بعد ذلك بالبحث عن الالفباء الفينيقية التي اخذوها عن المصريين . وانتشرت في انحاء العالم المعروف آنئذ

بفضلهم وختم الكتاب ببحث ضاف عن اللغة العربية ومختلف خطوطها القديمة والحديثة المبتكرة . كل ذلك مؤيد بالتصاوير الواضحة والامثلة الوافية البينة .

فاذا ما تناولنا الكتاب الثاني « قصة الارقام » وجدناه كتاباً لا يختلف عن سابقه من حيث التناول والتقسيم، فيتناول بداءة حاسة العدد عند الحيوان والانسان البدائي، ومن ثم تسير في ثنايا البحث فتقرأ الابواب المختلفة عن حساب المقارنة وحساب اليد وكتابة الاعداد «بالصور وبالرموز» كما انها افردا ابحاثاً خاصة لدراسة الارقام الرومانية ومعضلاتها والارقام الهندية وميزاتها وانتقالها الى البلدان العربية .

هذا ولم يخل الكتاب من رسوم توضيحية تسهم في تسهيل فهم الموضوع وتساعد على استيعاب البحث من وجوهه كافة .

والكتاب الاخير من هذه السلسلة القيمة « قصة الساعة » كتاب قيم ، فريد في نوعه نظراً لما للساعة من اهمية كانت ولا تزال مصدر النظام الضابطة لاوقات الانسان في عمله وبيته ونزهته

افتتح الكتاب بفصل عن اهمية الساعة ثم تطرق المؤلفان الى بحث انواع الساعات من شمسية الى ليلية الى نارية فرملية فمائية . وافردوا ابحاثاً خاصة عن الساعات عند العرب وكيف توصلوا الى اختراع الساعة الآلية التي لا يحتاج الى الماء في تحريكها .

وختم الكتاب بابحاث عن الساعات الحديثة كساعات «الزنبرك» و«الساعات الكهربائية» . وكذلك الكتاب كسابقيه لم يخل من رسوم ايضاحية لكل دور من ادوار الساعة قديمها وحديثها .

ولا شك في ان هذه السلسلة قد سدت نقصاً ظاهراً في المكتبة العربية نظراً لقلة امثال هذه الكتب العلمية البسيطة التي يستطيع الانسان المثقف مهما كانت درجة ثقافته ان يفيد منها .

ولقد توخى المؤلفان كما قال الاستاذ الدكتور نبيه فارس في مقدمته لهذه السلسلة . « ان توجد لدى القارىء رغبة في البحث والاختراع اذ تظهر ان بداءة اكثر الاختراعات جاءت بشكل بسيط ثم تطورت . وان معظم المخترعين لم يكونوا من اكثر الناس علماً ومعرفة بل من ادقهم ملاحظة واعظمهم جلداً على الدرس والبحث والاختبار » .

هذه غاية من غايات السلسلة وانعم بها من غاية نبيلة نرجو ان تؤتي ثمارها ، فما خاب من جد وعمل لغاية من انبل الغايات واسماها .

٤ ـ هذه هي اندونيسيا

للاستاذ قهر الدين الاندونيسي – ٣٠٦ صفحة – مطبعة الشبكشي – القاهرة

اندونيسيا تلك البلاد الشهيرة . التي تضم زهاء السبعين مليوناً من السكان ، والتي لا يعرفها الا القليل من المثقفين ، تلك البلاد التي لا تزال تناضل في سبيل حريتها والتخلص من نير المستعمرين الاوروبيين يقدمها لنا الاستاذ قهر الدين الاندونيسي في كتابه « هذه هي اندونيسيا » الذي وضعه اطروحة لدرجة الماجستير .

كتاب ضخم ، جامع مانع ، لاحوال اندونيسيا وما تحويه من ثروات دفينة وكنوز كثيرة حبسها الحاكم الغاشم عن ابناء البلاد واستأثر بها لنفسه ، فأفاد منها ثراء فاحشاً .

يقسم الكتاب الى جزئين ، وكل جزء الى فصول متعددة ، فيتكلم في الفصل الاول عن موقع اندونيسيا الجغرافي واقليمها ومساحتها وسكانها وطرق المواصلات فيها . ثم يتكلم في الفصل الثاني عن عصر الاندونيسيين الاولين منذ هجرتهم جماعات جماعات من جنوبي شرقي آسيا وانتشارهم في جزر الباسفيك المسماة اليوم اندونيسيا ، وتحدث عن العلاقات التجارية بين الصينيين والاندونيسيين القدماء ، ثم تدرج من ذلك الى عصر الممالك الاسلامية الاندونيسية ، وختم الفصل الثاني متكلماً عن مجيء الاوروبيين الى اندونيسيا ، وقيام الشركات التجارية .

ويبدأ الفصل الرابع بالحقبة التي سماها « بعصر الاستعمار » منذ سنة ١٧٩٩ الى سنة ١٩٤٥ دارساً حالة اندونيسيا الاقتصادية قبل الحرب العالمية الاولى وفي خلالها .

ثم في فترة ما بين الحربين ثم حالة اندونيسيا الاقتصادية اثناء الاحتلال الياباني ، وختم الجزء الاول بالحديث عن الثورة الاندونيسية الحديثة وقيام تلك الجمهورية الفتية التي اثارت اعجاب العالم بقوتها وشجاعتها وعزة نفسها .

وخصص الجزء الثاني بدراسة محاصيل اندونيسيا وسياستها الاقتصادية وآثارهما في مستقبلها .

وبعد فالكتاب كما نستخلص دراسة اقتصادية جمة للجزر الاندونيسية وايضاً هو مرجع علمي تاريخي سياسي ، ولقد اسدى المؤلف الكريم لوطنه ولشرقنا العربي خدمة كبيرة باطلاعنا على احوال تلك البلاد التي كانت بالنسبة لنا الى تاريخ قريب من البلدان المجهولة .

اننا نهنىء المؤلف بهذه الموسوعة القيمة ونهنئه بالروح العلمية البادية وهي مشوبة بالعبق الوطني فنحث لذلك كل شرقي ان يقتني هذا الكتاب لعله يرى فيه حافزاً جديداً للنضال في السبيل الحر .

« مصطفى »



فارس الخوري

ليس الجهاد هو الذي يجري على ارض فلسطين وحسب ، بل هناك جهاد من لون آخر ينهض بأعبائه مندوبو البلاد العربية في اروقة « ليك سكسس » .

وفي مقدمة هؤلاء الجنود ، فارس الخوري مندوب سورية ، الذي لا يزال دفاعه عن قضية مصر ، ونضاله في سبيل فلسطين وثباته من اجل كل شأن عربي ، ملء السمع والقاب من الناطقين بالضاد .

وجدير بكل قارىء عربي ان يعرف من هذا البطل ؟ وما رأي الاوساط الدولية في شخصيته ؟ وكيف لمع اسمه ونبغ في صباه وشبابه ؟ . وفي جولتنا ، هذا الشهر ، سنجيب على هذه الاسئلة وسننقل اولاً مقالاً نشرته جريدة « الايفننج ستار » التي تصدر عن واشنطن عن فارس الخوري قالت :

الواقع ان الاجماع يكاد يكون تاماً في اروقة هيئة الامم على ان مندوب سورية ذا الشعر الفضي ، هو المع رئيس رآه مجلس الامن حتى الآن .

في داخل القاعة الرهيبة ، قاعة اجتماعات المندوبين في مجلس الامن ، تجد هذا القانوني الشرقي البارع — وهو في السادسة والسبعين من عمره — يقوم بادارة جلسات المجلس في حزم ظاهر ، وبصيرة نافذة ، مع بعض التساهل في « الشكليات » وكل هدفه السرعة في انجاز الاعمال ، والايضاح الصريح في عرض الموضوعات .

وخطة فارس الخوري بك تتلخص في الاقوال المقتضبة المفيدة والانتاج السريع الزائد ، واعلان الآراء بالتصويت دون جدل طويل ، ولهذا كان انتاج المندوبين في مجلس الامن خلال مدة رياسته اكثر منه في اية مدة اخرى سابقة في تاريخ المجلس ، وقد استطاع المندوب السوري ان يحقق هذه النتيجة من طريق السيطرة على مجرى المناقشات بحزم وقوة وتوجيه انظار المندوبين الى وجوب الايجاز غير المخل واجتناب التطويل الممل وفي ذلك يقول الاستاذ الخوري :

اري ان المندوب يجب ان يتكلم حينما يكون لديه جديد يقوله فلا فائدة من ترديد الاقوال مرة بعد اخرى .

وقد كانت للاستاذ الخوري جولات مع الرفيق غروميكو ، المندوب الروسي الذي يطلق عليه (الدب المخيف) لكن الرئيس السوري لم يكن ليظهر عليه اي اثر للارتباك او التردد وقد قال مرة : هذا رأيي كما اوضحته فاذا لم توافق عليه فلك حق الالتجاء الى صوت الثقة من المجلس فيما تختلف عليه . وهنا جنح المندوب الروسي الى السكوت ، ووقف عن متابعة اعتراضه لرئيس المجلس .

اما في خارج القاعة فان الاستاذ الخوري قد وضع تقليداً جديداً ، اذ احتجز الى جانب قاعة الوفود غرفة خاصة اتخذها مكتباً له ، وكان يأتي اليها كل صباح ولا يبرحها حتى ساعة متأخرة من الليل كما انه لم يكن ليقصر نشاطه على المدون في جدول الاعمال ، بل انك لتراه في كل وقت اما في قاعة الاجتماع واما في مكتبه واما متمشياً في اروقة المجلس ، وقد اخذ يداعب حبات مسبحته او مضى يتحدث الى من حوله في مختلف المسائل ، اما هذه المسبحة فليس لها مغزى ديني ، ولكنه يحملها ليشغل يديه بمداعبة حباتها ، وهو يمثل دولة عربية اكثريتها اسلامية ، وان كان مسيحياً .

وكثيراً ما يقف مندوبو الصحف وموظفو ادارة هيئة الامم وغيرهم ممن يأتون زائرين او مستمعين لمناقشات المجلس حول هذا المندوب البشوش ليتجاذبوا معه طرف مختلف الاحاديث في كل موضوع وفي كل وقت .

فارس الخوري الطالب

هذا ما قالته جريدة الايفننج ستار عن البطل العربي الكبير ، في شيخوخته الشابة ، ولكن اساتذته في المدرسة قد اعجبوا بنبوغه في وقت مبكر ، وتنبهوا الى قوة شخصيته ونباهة عقله وتركز ذكائه ، ولنترك الكلام الى المرحوم الاستاذ داود قربان الذي اشرف على تعليمه في صيدا حيث يقول :

كان فارس الخوري انجب طالب رأيته في مدرسة صيدا الامريكية يوم كنت بين مدرسيها في العقد الاخير من القرن الماضي والتحق ذلك الفتى بالمدرسة المذكورة ولم يتجاوز ثلاث عشرة سنة من العمر وبدت عليه اقصى علائم الالمعية فلفت انظار المرحوم

الدكتور جورج فورد رئيس المدرسة ومدرسيها وسحرهم بقوة ذكائه، وتوقد ذهنه . وفي آخر السنة الثانية وكان قد اتم الرابعة عشرة كان خطيب الحفلة السنوية مما لم يسبق له مثيل في تاريخ تلك المدرسة اختير برغم حداثته لتفوقه غير المألوف – وقف على المنبر والقى خطاباً طويلاً لا من الورق بل من رأسه كأنه يغترف من معين فند فيه مذهب داروِن – وكان البحث في ذلك الموضوع مكروهاً بل ممنوعاً في ذلك العهد .

وقد كنت اراقب الدكتور فورد لارى تأثير الخطاب عليه وبالفعل رأيته يهم آناً بعد آن ان يوقف الخطيب او يتركه ولكنه لم يفعل بل ظل يصغي حتى آخر الخطاب وكان اول المصفقين واخبرني فيما بعد ان روعة الخطاب اشدهته فلم يستطع او لم يستسغ التعرض لذلك الفتى المدهش وانه قرأ الكثير من مذهب داروِن ولكنه رأى خطاب الفتى اجلى واوضح من كل ما قرأ .

وعن الاستاذ داود قربان ايضاً قال : كنت ادرس اللغة العربية – للفرقة التي كان فارس في مقدمتها – في شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، وكان فارس يحفظ الالفية طرداً وعكساً ويفسر كل بيت لا يترك شارداً ولا وارداً ولم استطع تعجيزه في في اعراب اصعب المعقدات العويصة بل كان يفسر معاني الشعر التي اغلقت علينا كلنا ، وكنت ازعم في بادىء الامر ان نبوغه مقصور على اللغة والادب ولكني صعقت عند ما اخبرني استاذ الحساب خليل سعَيِن انه كان ينقب عن اصعب المعضلات الحسابية في الكتب الانكليزية المطولة لكي يجد معضلة يعجز فارس عن حلها فيفشل .

وهو ليس بارعاً في اللغة العربية ؛ والفلسفة والرياضات والقانون ، بل لعلك تعجب اذا عرفت انه يشارك في قرض الشعر مشاركة لفتت انظار الشعراء ، وحسبنا ان نسرد امامك هذه القصيدة الغزلية ، انها القصيدة التي بعث بها الاستاذ فارس بك الخوري الى زوجته من استامبول اثناء وجوده في الاعتقال سنة ١٩١٦ وقد تمنى على الله ان يسمح له بلقياها .

لله درك ما احلى مزاياك وما اعزك في نفسي واسماك
لقد تعلمت منك الحب اخلصه حتى تعلم قلبي كيف يهواك
عندي من الحب آيات مفصلة ما كنت اعرف معنى الحب لولاك
عندي من الوجد ما لو تعلمين به لطال ليلك واشتدت بلاياك
اقضي الليالي وحيداً لا يؤانسني في وحشتي وانفرادي غير نجواك
صبرت صبر الغطاريف الكرام على دهر تجنى فاشقاني واشقاك
وكنت مبتسماً للنائبات وقد غاض الرجاء وفاضت عبرة الباكي
ولست اشكو لغير الله ضائقتي لعله مستجيب دعوة الشاكي
وكنت اغفر ذنب الدهر مرتضياً لو كان مني على الضراء ادناك
لا بأس من طول هذا البعد ما بقيت بين المحبة ترعاني وترعاك
حفظت عهدك حتى كاد يحرمني نوم الليالي فاقضيها بذكراك
دار السعادة فيها كل سافرة تفتر عن دور نيطت باسلاك
تراود المرء بالالحاظ باعثة آمالها بين اسلاك واشراك
يعدها كل طرف ملؤه غزل رام على القلب فتان وفتاك
تصيد كل غوي في حبائلها وربما بعض رهبان ونساك
اغمضت باصرتي عن كل غانية كأنما راقبت عيني عيناك
وكيف انسى عيوناً طالما ذرفت دمعاً لاجلي تفرى منه خداك
وكيف انسى فؤاداً خافقاً حذراً علي بالوجد ضمنه حناياك
بل كيف انسى عهوداً بيننا سلفت لا عشت ان كنت انساها وانساك
كريمة الاصل والاعراق مترعة بالنبل حيا الذي بالفضل رباك
وما عدا الصبر نلت الحسن اجمعه لو كنت احرزته تمت سجاياك
تجلدي في مرارات الفراق الى ان يسمح الله لي يوماً بلقياك
مني عليك تحيات معطرة بالحب لولا النوى بلغتها فاك

يحتقرون الفكر

●

امام شهر الاونيسكو الذي يقترب شيئاً فشيئاً على لبنان بدأت الاقلام تتحدث عن الحياة الفكرية ومدى تشجيع الحكومة لها ، بالرغم من ان الحكومة ترى ان لبنان مبعث الاشعاع الفكري وموطن النور والعرفان ، دون ان تبدي آية بادرة تدل على انها تحترم هذه الناحية الثقافية وتقدرها حق قدرها ، وأنها توليها من العناية اكثر ما تولي شؤون المختار والناطور .

ولعل في كلمة السيد اميل ابي نادر التي نشرتها جريدة «العمل» الغراء ما يصور بعض التصوير وضع الادب في لبنان .

ويحدثونك في لبنان عن رجال القلم والرأي والفكر . فهل في موطن الفكر اي اعتبار للفكر ، وهل للانسان قيمة الا بقدر ما يستغله الانسان ، اخوه الانسان لمصالحه الشخصية ؟ فاي صاحب قلم اعتاش من قلمه ؟ واين صاحب الرأي الذي در عليه رأيه ما مكنه من الحياة بسعة ؟ والسلطة ، متى اعتبرت في هذه البلاد غير حملة المباخر وضاربي الطبول وساكبي العطور ؟ .

خواطر تمر على بالي بمناسبة اهتمام الحكومة بتنظيم مؤتمر الاونيسكو الذي سيعقد قريباً في لبنان . هي خواطر تحمل الي ذكرى ادبائنا المنزوين في بيوتهم ، القابعين في زوايا صوامعهم ، مهملين منسيين الا يوم التفاخر بنبوغهم وبآثارهم ، ينامون على تآليف قيمة يرعاها العث ، ويأكلها الفأر ، وليس في لبنان ، نعم في لبنان ، من يوليهم اهتمامه ويمد لهم يداً ويساعدهم .

ويمر في خاطري عدد عديد من النوابغ الناشئين المهملين لا تشملهم رعاية، ولا ترعاهم عين، ولا ينشطهم لسان، ولا تحدب عليهم سلطة.

ان في بلاد الناس حيث تداوي الناس آلامها باقلامها، يعيش صاحب الفكر من فكره، ورجل القلم من قلمه. ورجال الصحافة معتهدون محترمون لهم مكانهم الرفيع في الاوساط الرسمية والشعبية.

اولئك ادباء يعيشون من ادبهم.

وتلك اقلام تطعم اصحابها خبزاً. اما في لبنان فلا نريد للكتاب الملايين والملادين، انما نريد الا يريدهم المسؤولون حملة مباخر، وضاربي طبول وصنوج، وناثري ورود، وساكبي عطور..

وهذه مجلة الشعاع الغراء يتحدث رئيس تحريرها فؤاد البدوي عن «ادباء لبنان وعهد الاستقلال» فيقول:

... هذه الرسالة يجب ان نواصلها فنرسل الى العالم بلابل لبنان لتواصل التغريد على اغصان شجرة الدنيا بنشيد جمال لبنان وطن الفكر وسيناء الوحي لا ان نرسل اليه وزراء سياسة، اتخمت العالم، ولا دبلوماسية ضجر الناس من اساليبها، اننا ابناء وطن جمال وفكر وطمأنينة وسلام، لا ابناء دولة مطامع دولية ومشاكل عالمية وتوسع وفتح.

الادباء في لبنان مهملون في ايامنا الحاضرة، والقرائح جامدة والافكار راكدة، لان عهدنا الجديد الذي استنار باشعة جذوة افكار اضرموها وقام على ثورات بعثوا بها، اهتم بكل شأن الا بهم. وشجع كل نهضة الا نهضتهم فاهمالها اهمال دعامة اساسية في صرح الاستقلال واهمال مبعث شهرة لبنان ومجده.

ثم تذكر الشعاع الغراء مجلة الاديب بهذه الكلمة الطيبة.

مجلة الاديب

اما مجلة الاديب فهي الواسطة الادبية الوحيدة التي تنقل صوت لبنان الادبي الى العالم العربي من اقصاه الى ادناه فهي تقرأ باقبال وتصل بانتظام الى كل قطر يتكلم فيه بشر بلغة الضاد، وتعتبر المجلة الادبية الوحيدة من نوعها في العالم العربي التي اوقفت صفحاتها على تبادل الافكار وتعاون الاقلام بين ادباء جميع اقطار العرب، فنجد فيها بحث الاديب العراقي الى جانب مقال النجدي واليمني والمصري الخ.. فالاستاذ البير اديب يخلق في اديبه الوحدة العربية الادبية، وخرج بالفكر العربي الادبي من دائرة الاقليمية الضيقة والوطنية المحدودة الى افق الامبراطورية العربية الواسعة حيث ثمانون مليوناً من ابناء الضاد يشعر كل من تقع الاديب بيديه منهم انها مجلته العامة لا مجلة ادب اقليمي محدود.

ان مجلة الاديب اثبتت بصورة مستمرة وجود لبنان الادبي وواصلت تأدية رسالته الثقافية الى العالم العربي وتعاونه الادبي مع جميع الاقطار العربية. ولكن الاديب بحاجة الى دعامة ليتمكن من البقاء، مثابراً على تأدية رسالته وترقية هذه الرسالة وزيادتها روعة، ومواصلة اظهار وجه لبنان مهبط الوحي والالهام في افق الادب الراقي، وهذه الدعامة يجب ان تكون رسمية حكومية، والا وقف الاديب عن استطاعة متابعة تأدية الرسالة التي لا يستطيع ان يؤديها عشرات القناصل والوزراء المفوضين، فالادب يشجع في جميع انحاء العالم، فهل يأتي الوقت الذي نعرف قيمته الحقيقية في لبنان ونقدره حق قدره ؟؟.

ويظهر ان نظرة الجهات الرسمية في البلاد العربية الاخرى الى الادب ليست خيراً من نظرة الحكومة اللبنانية اليه، ودليلنا على ذلك ما اثارته زيارة الدكتور بدوي الى احد الاقطار الشقيقة وما رافقها من مشكلات، فقد دعي لالقاء ثلاث محاضرات، ثم ظهر له ان عمله هذا هو من قبيل التبرع فثار ثورته وأجاب على سؤال للزميلة «الجمهور» قائلاً:

«عجباً هؤلاء الناس فهم يدفعون لراقصة او مغنية مئات الليرات مقابل حفلة تحييها لهم ولكنهم يطلبون من رجل الفكر ان يقدم لهم جهوده مجاناً».

ويقرأ صديقنا الشاعر الشيخ الياس خليل زخريا هذه الفقرة المتعلقة بقيمة الادب والتلميح الى الغناء والمطربات فيرسل هذه الكلمة الدامية الصارخة في عنوان «لا تقل الغناء اثمن من المحاضرة بل قل الحذاء».

اعجبني في موكب الاعجاب، هذا العجب العجاب الذي اصيب فيه صديقي الكبير الدكتور عبد الرحمن بدوي اذ قال:

«ان هؤلاء الناس يدفعون لراقصة او مغنية مئات الليرات مقابل حفلة واحدة تحييها لهم، ولكنهم يطلبون من رجل الفكر ان يقدم لهم جهوده مجاناً ولوجه الله».

ولم اعلم لماذا احب صديقي هذه المقابلة التي بيننا وبين المغنيات والفنانات، وهو يعلم، نفحني الله بعلة البحر، ان هؤلاء صاحبات النقلة والرنة، والنغمة، هن منا، اي من اولئك الناس الكبار الذين يعطون هؤلاء الناس الصغار عصير قلوبهم، وخمر شفاههم، وشدات خصورهم، ويسكبون في آذانهم وعيونهم رفات الاقدام وسقسقات الخناجر، فليته، اي ليت صديقي المفكر الاديب الكبير صاحب الف مؤلف ومؤلف، غار غيرته من اصدقائنا باعة الاحذية فقد ارتقت في المدينة العربية،

والحمد لله، اسعار الجلد حتى لاضحت أثمن من جلودنا، وارفع قدراً من ثمار ادمغتنا وحبات قلوبنـا وجوانح اشواقنا العميقة، وامست حروف الاحذية اشد اثراً في اسواق المدينة العربية من حروف العقول . والادب، وما قيمة الادب في امة يأكل قراؤها الهشيم وتحيا على حتات الثورة، وتقضغ ماضيها الفكري اجتراراً فخوراً حديثاً وهي تظن نفسها تعيش عيشها المبدع الخير .

جاءني امس كتاب من صديق يطلب الي فيه ان احاضر في احدى القاعات فاجبته طالباً اليه – ان يدفع ثمن المحاضرة – فاجابني بانه لم يعهدني مادياً – واجات الحفلة .

وصديقي مرسل الكتاب، نفحني الله بكرمه ورفعة حكمه، مراب معروف استدين منه بالفائدة الباهظة كل شهر . فلما جاءني بعد ايام مطالباً ببعض ديونه دفعت اليه بعض محاضرات قديمة لي. فقال « هذه ليست بمال » . قلت « بلى هي مـال مضمون يدفعه المستثمرون مثلنا الى المستثمرين مثلكم » .

وصفعت وجهه بصفحة كتاب عتيق . لقد اهان « عملتي » .

هذه حكاية حلم، اتمنى لو عقد حملة الاقلام النية الصادقة على تحقيقها بالقوة. بالقوة وحدها يتعلم هؤلاء الناس ان تلافيف الدماغ اثمن في النقش من خطوط الحذاء .

أزمـة أخـلاق

ليست الازمة التي تشد على خناق البلاد وتهددهـا بشر المصاير ازمة دستور .

وليست الفوضى التي نعانيها ناجمة عن افتقارنا الى علم ورجال، وليست الشكوى المتصـاعدة من كل ناحية ناجمة من قلة القوانين وفقد الشرائع التي تنظم حياة البلاد السياسية والاقتصادية .

وليس القلق المستحوذ على كل فرد من افراد الامة مصدره عدم وعي الشعب اللبناني وتفهمه واجباته .

ففي البلاد دستور اشبه بارقى دساتير العـالم الديمقراطي، بالرغم من بعض النواقص فيه، يضمن الحريات العامة والخاصة، وينظم شكل الحكم تنظيماً دقيقاً، ويحدد المسؤوليات ويوزع التبعات. وفي البلاد رجال علم وثقافة ومقدرة اثبتوا في كل ميدان خاضوه انهم يجارون اعظم رجال العالم في السياسة والتشريع والاجتماع .

وفي لبنان شعب واع مرهف الحس يميز بين الصالح والطالح ويعرف كيف يضطلع بمسؤولياته وتبعاته في كل ظرف.

وانما الازمة الكبرى، الـتي كانت ولا تزال مصدر العلة الشكوى والفوضى، هي ازمة اخلاق لا اكثر ولا اقل .

ويتحدثون في الايام الاخيرة عن العقلية الـتي سادت البلاد ووجوب اصلاحها. فما هي هذه العقلية وكيف يمكن اصلاحها ؟ .

لقد ساد في الاذهان ورسخ في الافكار ان الكلمة الاولى في البلاد للسلطة الحاكمة ومن يواليها من الانصار « والمحاسيب » دون اي اعتبار للحق والقانون. اما من لا يوالي السلطة ولا يسبح بحمد رجال الحكم صباح مساء، ومن لا يرضخ لمشيئة الاتباع والانصار، فان حقه يهضم ويكون الاضطهاد مصيره .

وهذا الاعتقاد يحمل من لا يوالون السلطة الحاكمة والكتل النيابية صاحبة الامر والنهي في كل شأن، على التخلي عن حقوق مشروعة باعتبار ان القانون سيكون دائماً الى جانب « الواقف » .

فالقاضي لا يحكم لخصم في دعوى اذا كان معارضاً،

والمعاملة لا تسير في الدوائر سيرها الطبيعي ان لم يدعمها رجل صاحب نفوذ في الدولة . والمشاريع الاستثمارية ورخص الاستيراد والتصدير والنقد النادر لا يستفيد منهـا الا من كان وراءه « نائب » يسنده او « متزعم » يشد ازره .

والموظف لا يعين في وظيفة، ولا يرقى وتدفع له المكافآت، ويغض النظر عن قصوره وتصرفاته، الا اذا كان يلوذ بهذا او ذاك من اصحاب الرأي والنفوذ .

هذا هو الاعتقاد الراسخ وقد يكون اعتقاداً مبالغاً فيه بعض الاحيان . ولكن المشرفين على مقدرات البلاد وتنفيذ القانون لم يتخذوا اي بادرة من شأنها ان تزيل هذا الاعتقاد .

ونود ان نعتقد، بعـد الحديث عن « العقلية والروحية » ووجوب اصلاحهما لاصلاح الحال، ان المسؤولين سيعمدون في الدرجة الاولى الى استئصال الداء بوضع حد للاوهام المسيطرة على الاذهان وباعطاء الدليل القوي عـلى ان الكلمة الاولى والاخيرة للقانون وليس لصاحب النفوذ، وان افراد الشعب على اختلاف ميولهم الحزبية ونزعاتهم متساوون امام القانون .

ومتى رأينا القائمين بالاصلاح يخطون هذه الخطوة الجريئة استطعنا القول انهم مخلصون في ما يصرحون ويعلنون .

اما اذا ظلت الامور جارية في مجراها المألوف، واذا ظلت العقلية البالية مسيطرة فان لا امل باي اصلاح ولو جمعنا كل دساتير العالم وقوانينه وشرائعه فالسر، في الروح وليس في النصوص .

« من مقال لجريدة العمل »



٢٦ نوار سنة ١٩٤٨ – اعترف اتحاد جنوبي افريقيا بالدولة اليهودية الوهمية ، وقد دهشت الاوساط اللندنية لهذا الاعتراف من احدى دول رابطة الشعوب البريطانية .

– وافق مجلس الامن الدولي على تمديد اجل وقف اطلاق النار في فلسطين ٤٨ ساعة بناء على طلب الدول العربية .

– اسفر الهجوم الذي شنه ٣٠٠٠ يهودي لاختراق الحصار العربي بمنطقة باب الواد عن ٦٠٠ قتيل والف اسير من الهاغاناه .

٢٦ – صرح وزير خارجية الباكستان ان عطف الباكستان حكومة وشعباً يتجه ناحية العرب .

– طلب الملك عبدالله الى حكومته الا تعطي اي جواب على طلب مجلس الامن بوقف القتال باعتبار ان دولته غير منتمية الى هيئة الامم المتحدة .

– ارسلت واشنطن احتجاجاً الى دمشق والقاهرة على الحصار الذي ضربتاه على الساحل الفلسطيني .

٢٧ – زار الملك عبدالله مدينة القدس وادى الصلاة في الحرم الشريف وزار كنيسة القيامة .

– خسر المرشال سمطس مقعده في برلمان جنوب افريقيا الجديد ولم يحرز حزبه سوى اقلية ضئيلة .

٢٨ – لم يتوصل مجلس الامن في اجتماعه الى اتخاذ اي قرار بشأن القضية الفلسطينية بعد رفض العرب القاء السلاح .

– قدمت بريطانيا الى مجلس الامن اقتراحاً ينص على عقد هدنة في فلسطين لمدة اربعة اسابيع ووقف ارسال الاسلحة الى العرب واليهود ومن ثم يصار الى مفاوضات للتسوية بينهما .

– استسلم يهود القدس القديمة بدون قيد ولا شرط . وقد سيقوا الى معسكرات الاعتقال الاردنية ، بعد ان سلم الاطفال والنساء للصليب الاحمر الدولي .

٢٩ – لم يوافق مجلس الامن على الاقتراح الروسي القاضي بدعوة العرب واليهود الى وقف القتال في غضون ٣٦ ساعة والا تلجأ هيئة الامم الى ايقافه بالقوة .

– اجتمع في القاهرة الكونت برنادوت الوسيط الدولي في القضية الفلسطينية برجال الحكومة .

٣١ – فاز الحزب الشيوعي في الانتخابات التشيكوسلوفاكية فوزاً كبيراً .

– وصل الكونت برنادوت الى تل ابيب واجتمع بموشي شرتوك المسمى بوزير خارجية دولة اسرائيل الوهمية .

١ حزيران – اغارت طائرة صهيونية على عمان اثناء اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ووجود الكونت برنادوت فيها والقت عدة قنابل وسببت وقوع بعض الجرحى .

– صرح الجنرال عمر برادلي رئيس اركان الجيش الاميركي بان الحرب محتملة الوقوع في اي وقت نظراً لانقسام العالم الى معسكرين .

٢ – اعلن فارس الخوري رئيس مجلس الامن بأن الجامعة العربية قد ابلغته بانها وافقت على قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار .

٣ – قالت جريدة التيمس ان الامم المتحدة اتجهت نحو الاستخفاف بمسائل القضية الفلسطينية وان ثغرة الخلاف بين سياستي اميركا وبريطانيا كانت تتسع نتيجة للقرارات التي اصدرها البيت الابيض دون سابق انذار .

٧ – اسفرت معركة جنين عن انتصار كبير للقوات العراقية وسقط فيها ٦٠٠ قتيل واكثر من الف جريح من رجال الهاغانا .

– منعت الحكومة البريطانية تصدير المعدات الحربية للدول العربية . كما منعت اليهود المعتقلين في قبرص من مغادرتها .

– انتخب مالان رئيساً لحكومة افريقيا الجنوبية .

٦ – حظر على حزب والاس الاشتراك في انتخابات الرئاسة القادمة لولاية اوهايو في الولايات المتحدة .

– اعترفت فرنسا رسمياً باستقلال جمهورية فيتنام ضمن الوحدة الفرنسية .

– خفض مجلس النواب الاميركي اعتمادات الانعاش الاوروبية .

٧ – استقال الرئيس بنيش من رئاسة جمهورية تشيكوسلوفاكيا .

– صرح وزير خارجية ايطاليا مؤكداً حياد ايطاليا ازاء قضية فلسطين .

– خذل البرلمان الايراني حكومة ابراهيم حكيمي .

٩ – كلف السيد حسن سقا بتأليف الوزارة التركية الجديدة .

١٠ – اتخذ الكونت برنادوت جزيرة رودس مقراً له .

١١ – صدرت الاوامر للجيوش العربية بالتوقف عن اطلاق النار ابتداء من الساعة الثامنة .

– لم يراع اليهود حق الهدنة فواصلوا اطلاق النار ، وقد ارسلت سوريا برقيات احتجاج لهيأة الامم .

– صرح وزير الخارجية البريطانية ان الاعتراف بدولة اسرائيل ينافي روح الهدنة .

– صادق مجلس الشيوخ الاميركي على مشروع قانون التجنيد الاجباري .

١٢ – ارسلت الحكومة اللبنانية مذكرة احتجاج على خرق اليهود لشروط الهدنة .

١٤ – هدأت الحالة بطرابلس الغرب بعد ان دامت الاصطدامات بين العرب واليهود يومين

– صرح النائب البريطاني زيليا كوس بان التوتر بين الشرق والغرب مرده سياسة ترومان منذ سنة ١٩٤٧ .

– انتخب غوتوالد الشيوعي رئيساً لجمهورية تشيكوسلوفاكيا .

١٦ – فاز النواب المستقلون باغلبية ساحقة في الانتخابات النيابية العراقية .

– اخفقت المباحثات بين حيدراباد والهند .

١٧ – ارسلت لندن مذكرة الى دمشق والقاهرة تبلغهما فيها بانها تعتبر الحصار البحري على فلسطين غير شرعي .

١٨ – اعلن رئيس الوزارة الايرانية في البرلمان مؤكداً بان ايران تقاوم مشروع التقسيم ، وقيام دولة يهودية في فلسطين .

– احتجت بولونيا على تواصي لندن بشأن مستقبل المانيا الغربية .

١٩ – نشرت حكومة السودان امراً بتأليف مجلس تنفيذي وآخر تشريعي للسودان .

٢١ – وصل الى حيفا جنود الحرس الدولى كما وصل رودس خبراء العرب الاربعة .

٢٢ – وصل الملك عبدالله الى القاهرة .

مطابع صادر ريحاني – تلفون ٦٨ – ٦٣